الكِتَابُ الثَّانِي (٢)

من

الجامع لكتب الإمام أبي بكر الآجري رحمه الله

# أخلاق العلماء

تأليف

أبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري

تحقيق

أبي عبد الله عادل بن عبد الله آل حمدان

عفا الله عنه





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد، فهذا هو الكتاب الثاني من كتاب «**الجامع لكتب الإمام أبي بكر الآجري** رحمه الله»، وهو كتاب «**أخلاق العلماء**»، وهو يُعدُّ من أنفس ما كُتب في هذا الباب.

ـ قال ابن رجب رحمه الله في كتابه «شرح حديث ما ذئبان جائعان» (ص**٣٥**): وقد صنف أبو بكر الآجري ـ وكان من العلماء الربانيين في أوائل المائة الرابعة ـ مُصنفًا في «أخلاق العلماء وآدابهم»، وهو من أجلِّ ما صُنِّف في ذلك، ومن تأمَّله علم منه طريقة السلف من العلماء، والطرائق التي حدثت بعدهم المخالفة لطريقتهم، فوصف فيه عالم السُّوء بأوصاف طويلة. اهـ.

وقد اشتمل هذا الكتاب على بيان منزلة العلم وشرفه، وشرف أهله العاملين به، وبيان مكانتهم ومنزلتهم عند الله تعالى، وما هي أوصافهم التي يجب أن يتحلوا بها حتى يكونوا علماء ربانيين كما وصفهم الله تعالى.

والمُصنِّف رحمه الله في هذا الكتاب قسم العلماء إلى قسمين: علماء ربانيين يقتدى بهم، وعلماء سوء يحذر منهم، وذكر أوصاف كل واحد منهما حتى يعرفوا ويميزوا.

وقد اشتمل الكتاب على الأبواب التالية:

١ ـ باب ذكر ما جاءت به السُّنن والآثار من فضل العلماء في الدنيا والآخرة.

٢ ـ باب أوصاف العلماء الذين نفعهم الله بالعلم في الدنيا والآخرة.

٣ ـ باب ذكر سؤال الله لأهل العلم عن علمهم ماذا عملوا فيه؟

- ذكر صِفته لطلب العلم.
- ذكر صِفته في مشيه إلى العلماء.
- صفة مُجالسته للعلماء.
- صفته إذا عُرِفَ بالعلم.
- ذكر صفة مُناظرة هذا العالم إذا احتاج إلى المناظرة.
- ذكر أخلاق هذا العالم ومعاشرته لمن عاشر من سائر الخلق كيف تجري؟
- ذكر أخلاق هذا العالم وأوصافه فيما بينه وبين ربه عز وجل.

٤ ـ باب ذكر سؤال الله لأهل العلم عن علمهم ماذا عملوا فيه؟

٥ ـ كتاب أخلاق العالم الجاهل المفتتن بعلمه.

٦ ـ وصف من لم ينفعهم الله بالعلم.

فهذه أبواب الكتاب ومواضيعه، وقد ذكر رحمه الله تحت كل باب ما اشتمل عليه من الآيات والآثار وعلَّق على كثير منها بتعليقات حسنة متينة، بأسلوب راقٍ وسهل.



## نسبة الكتاب إلى المؤلفه

لا شك في صحة نسبة هذا الكتاب إلى الإمام الآجري رحمه الله فقد ذكره غير واحدٍ ممن ترجم له في عداد مصنفاته، وتقدم قريبًا ثناء ابن رجب رحمه الله على هذا الكتاب، وذكره ابن خير الإشبيلي في «فهرسته» (٦٥٥)، والسيوطي في «أنشاب الكُتُب في أَنْسابِ الكُتُب» (ص١٧١) برقم (٥٧٦)، وساق إسناده إلى المصنف بهذا الكتاب.

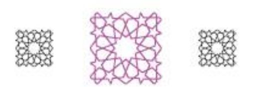
وقد اعتمدت في إخراج هذا الكتاب على مخطوطة من مخطوطات مكتبة عاشر أفندي باستنبول.

وهي نُسخة كاملة، كتبت بخط جيد مقروء.

عدد لوحاتها: (٣٤) لوحة، في كل لوحة وجهان، وفي كل وجه (١٧) سطرًا.

وهي نسخة قليلة الأخطاء، قد قوبلت على نسخ أُخرى كما هو ظاهر في هوامش المخطوط.

وهذا الكتاب طبع عدَّة طبعات منتشرة متداولة، وقد أفدت من كثيرٍ منها، وفق الله الجميع لما يُحبُّ ويرضى.



# كتاب
# أخلاق العلماء

تأليف

الشيخ الإمام العالم

أبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري رَحِمَهُ اللهُ

رواية أبي الحسن علي بن أحمد بن عمر بن حفص الحمامي عنه.

رواية أبي بكر أحمد بن علي بن الحسين بن زكريا الطريثيثي عنه.

رواية أبي الفضل عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد القاهر الطوسي عنه.

رواية الشيخ أبي العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي إجازة عنه.






## ولا حول ولا قوة إلا بالله

أخبرنا الشيخ الثقة الإمام العالم زين الدين أبو العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي إذنًا قراءة عليه، قال: أنبأ الشيخ الخطيب أبو الفضل عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد القاهر الطوسي إذنًا، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن الحسين بن زكريا الطريثيثي، أنبأ الشيخ أبو الحسن علي بن أحمد بن عمر بن حفص الحمامي، أنبأ أبو بكر محمد بن الحسين الآجري بمكة، قال:

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم، وبالله أستعين وحسبي الله ونعم الوكيل.

**أما بعد؛**

١ ـ فإن الله عزوجل وتقدَّست أسماؤه اختصَّ من خلقه من أحبَّ؛ فهداهم للإيمان، ثم اختصَّ من سائر المؤمنين من أحبَّ؛ فتفضَّل عليهم فعلَّمهم الكتاب والحكمة، وفقَّههم في الدين، وعلمهم التأويل، وفضَّلهم على سائر المؤمنين، وذلك في كلِّ زمانٍ وأوان.

• رفعهم بالعلم، وزيَّنهم بالحلم[(١)].

• بهم يُعرفُ الحلال من الحرام، والحقُّ من الباطل، والضارُّ من النافع، والحسنُ من القبيح.

---

(١) روى المصنف في «أخلاق حملة القرآن» (٧٠) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والحلم..

- وفي «مسند الدارمي» (٥٩٨) قال الشعبي: زين العلم حلم أهله.

- وفي «العلم» لابن أبي خيثمة (٨٢) قال عطاء بن يسار: ما أوتي شيء إلى شيءٍ أزين من حلم إلى علم.

- قال ابن القيم رحمه الله في «إعلام الموقعين» (٥/٧٦): فليس صاحبُ العلم والفتيا إلى شيء أحوجَ منه إلى الحلم والسكينة والوقار؛ فإنها كسوةُ علمه وجماله، وإذا فقدها كان علمُه كالبدن العاري من اللباس.

قال بعض السلف: ما قُرن شيءٌ إلى شيء أحسنُ من علم إلى حلم.

والناس هاهنا أربعة أقسام: فخيارهم من أوتي الحلم والعلم. وشرارهم من عَدِمهما، الثالث: من أوتي علمًا بلا حلم، الرابع: عكسه.

فالحلم زينة العلم وبهاؤه وجماله. وضدُّه: الطيش والعجلة والحدَّة والتسرُّع وعدم الثبات. فالحليم لا يستفزُّه البَدَوات [يعني: الآراء المختلفة التي تظهر وتبدو له]، ولا يستخفُّه الذين لا يعلمون، ولا يُقلقه أهلُ الطيش والخفة والجهل؛ بل هو وقور ثابت ذو أناة، يملك نفسه عند ورود أوائل الأمور عليه، ولا تملكه أوائلها. وملاحظته للعواقب تمنعه من أن تستخفَّه دواعي الغضب والشهوة. فبالعلم تنكشف له مواقع الخير والشر، والصلاح والفساد، وبالحلم يتمكَّن من تثبيت نفسه عند الخير فيؤثره ويصبر عليه؛ وعند الشر فيصبر عنه. فالعلم يعرِّفه رشدَه، والحلم يثبِّته عليه.

وإذا شئت أن ترى بصيرًا بالخير والشرِّ لا صبر له على هذا ولا عن هذا رأيته.

وإذا شئت أن ترى صابرًا على المشاقِّ لا بصيرة له رأيته.

وإذا شئت أن ترى من لا صبر له ولا بصيرة رأيته.

وإذا شئت أن ترى بصيرًا صابرًا لم تكد.

فإذا رأيته فقد رأيتَ إمامَ هدًى حقًّا فاستمسك بغرزه. والوقار والسكينة ثمرة الحلم ونتيجته.. إلخ. ثم أطال الكلام عن السكينة وأقسامها.

• فضلهم عظيم، وخطرهم[١] جزيل.

• ورثةُ الأنبياء، وقرَّة عين الأولياء. [٢/ب]

• الحيتان في البحارِ لهم تستغفر، والملائكة بأجنحتها لهم تخضع، والعلماء في القيامة بعد الأنبياء تشفع.

• مَجالِسُهم تُفيد الحكمة، وبأعمالهم ينزجرُ أهلُ الغفلة.

• هم أفضل من العُبَّاد، وأعلى درجةً من الزُّهاد.

• حياتهم غنيمة، وموتهم مُصيبة.

• يُذكِّرون الغافل، ويعلمون الجاهل.

• لا يتوقعُ لهم بائقة[٢]، ولا يخافُ منهم غائلة[٣].

• بحُسنِ تأديبهم يتنازع المطيعون، وبجميل موعظتهم يرجع المقصِّرون.

• جميع الخلق إلى علمهم مُحتاج، والصحيح على من خالف بقولهم محجاج[٤].

• الطاعة لهم من جميع الخلق واجبة، والمعصية لهم محرَّمة.

• من أطاعهم رشد، ومن عصاهم عَنَد[٥].

• ما ورد على إمام المسلمين من أمرٍ اشتبه عليه حتى وقف فيه فبقول العلماء يعمل، وعن رأيهم يصدُر.

---

(١) الخطر هنا بمعنى: القدر والمنزلة.

(٢) البائقة: الشر.

(٣) الغائلة: الهلكة. غاله: أخذَه من حيث لم يدر. «تاج العروس» (٣٠/ ١٢٧).

(٤) في هامش المخطوط: (المحجاج: الجدل).

(٥) عَنَدَ: حَادَ وابتعد ومَالَ. «لسان العرب» (٩/ ٤١٩).

• وما ورد على أُمراء المسلمين من حُكمٍ لا عِلمَ لهم به؛ فبقولهم يعملون، وعن رأيهم يصدُرون.

• وما أُشكل على قُضاة المسلمين من حُكمٍ؛ فبقول العلماء يحكُمون، وعليه يُعوِّلون.

• فهم سِراجُ العباد، ومنار البلاد، وقوام الأُمَّة، وينابيع الحكمة.

• هم غيظُ الشيطان.

• بهم تحيا قلوب أهل الحقِّ، وتموت قلوب أهل الزيغ.

• مثلهم في الأرض كمثل النجوم في السماء، يُهتدى بها في ظلماتِ البرِّ والبحر، إذا انطمست النجوم تحيَّروا، وإذا أسفر عنها [٣/أ] الظلام أبصروا.

٢ ـ **فإن قال قائل:** ما دلَّ على ما قُلتَ؟

**قيل له:** الكتاب، ثم السُّنة.

**فإن قال:** فاذكر منه ما إذا سَمِعه المؤمن؛ سارع في طلبِ العلم، ورَغِبَ فيما رَغَّبه الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ.

**قيل له:**

أما دليل القرآن؛ فإن الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾ [المجادلة].

فوعد الله عَزَّوَجَلَّ المؤمنين أن يرفعهم، ثم خصَّ العلماء منهم بفضل الدرجات.

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ

﴿غَفُورٌ ۝٢٨﴾ [فاطر]، فأعلم خلقَه أنه إنما يخشاه العلماء به(١).

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ۝٢٦٩﴾ [البقرة](٢).

---

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ في «فتح الباري» (١/ ٩٠): العلم التام يستلزم الخشية كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، فمن كان بالله وبأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه أعلم؛ كان له أخشى وأتقى، إنما تنقص الخشية والتقوى بحسب نقص المعرفة بالله. اهـ.

- وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في «روضة المحبين» (٢٨٣): فكلما كان العبد بالله أعلم كان له أخوف. قال ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وكفى بخشية الله علمًا.

ونقصان الخوف من الله إنما هو لنقصان معرفة العبد به، فأعرف الناس أخشاهم لله، ومن عرف الله اشتدَّ حياؤه منه، وخوفه له، وحبه له، وكلما ازداد معرفة ازداد حياءً وخوفًا وحبًّا، فالخوف من أَجلّ منازل الطريق، وخوف الخاصة أعظم من خوف العامة، وهم إليه أحوج، وهو بهم أَليق، ولهم ألزم. اهـ.

(٢) قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ كما في «مجموع الرسائل» (٢/ ٥٧٠): والحكماء هم: أهل الحكمة، والحكمة: هي معرفة الدين والعمل به، كما قاله مالك والليث وغيرهما من السَّلف.

وكذلك ذكره ابن قتيبة وغيره، (فالحكماء): هم خواص العلماء كما كان الفضيل بن عياض رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: العلماء كثير، والحكماء قليل.

وقال له رجل: العلماء ورثة الأنبياء. فقال فضيل: الحكماء ورثة الأنبياء.

وإنما قال هذا؛ لأنه صار كثير من الناس يظن أن العلماء الممدوحين في الشريعة يدخل فيهم من له لسان علم، وإن لم يكن عنده من حقائق الإيمان ومن العمل بالعلم ما يوجب سعادته.

فبيَّن الفُضيل أنه لا يدخل في مدح الله ورسوله للعلماء إلَّا أهل الحكمة، وهم أهل الدراية والرعاية. وقد كان السّلف لا يطلقون اسم: (العالم) إلَّا على من عنده علم يوجب له الخشية، كما قال بعضهم: إنما العالم من يخشى الله، وكفى بخشية الله علمًا.

وهذا مطابق لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾. اهـ.

وقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢].

وقال عز وجل: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران][1].

وقال عز وجل: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ﴾ الآية [المائدة: ٦٣]، يُقال: فقهاؤهم وعلماؤهم.

وقال عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة][2].

---

(١) في «البيان والتحصيل» (١٨/ ٢٣٠) قال مالك: سأل عبد الله بن سلام كعب الأحبار: مَن أرباب العلم الذين هم أهله؟

قال: هم الذين يعملون بما يعلمون. قال: صدقت.

قال: فما نفاه من صدورهم بعد أن علموا؟

قال: الطمع. قال: صدقت.

ـ قال محمد بن رشد: قوله: (إن أرباب العلم هم الذين يعملون بما يعلمون)؛ صحيح بيِّن في المعنى؛ لأن من لم يعمل بما علم لم ينتفع بعلمه، وهو في التمثيل كرجل بيده مال لغيره أذِنَ له في إنفاقه، فلا يقال فيه: إنه ربه إذ لا ينتفع بشيءٍ منه. وقد جاء في الحديث: «من شرِّ الناس منزلة يوم القيامة عالم لا ينتفع بعلمه»؛ لأن علمه يكون عليه حسرة وندامة. اهـ.

ـ وفي «الفقيه والمتفقه» (١٨٠) عن محمد بن عبد الواحد قال: سألت ثعلبًا عن هذا الحرف: (رباني)؟ فقال: سألت ابن الأعرابي، فقال: إذا كان الرجل عالـمًا، عاملًا، مُعلِّمًا، قيل له: (هذا ربانيّ)، فإن خرم عن خصلة منها لم يقل له: (رباني).

(٢) قال ابن القيم رحمه الله في «عُدَّة الصابرين» (ص٢٠٦): إن الإيمان مبنيٌّ على ركنين: يقين، وصبر. وهما الركنان المذكوران في قوله تعالى: ﴿أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾. فباليقين يَعلم حقيقةَ الأمر والنهي، والثواب والعقاب، وبالصبر ينفِّذ ما أُمر به، ويكفُّ نفسه عما نُهي عنه، ولا يحصل له التصديق بالأمر والنهي أنه من عند الله، وبالثواب =

وقال عز وجل: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا [٣/ب] وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان](١).

---

= والعقاب إلَّا باليقين، ولا يمكنه الدوام على فعل المأمور وكفّ النفس عن المحظور إلَّا بالصبر، فصار الصبر نصف الإيمان، والنصف الثاني الشكر، بفعل ما أمر به، وبترك ما نهى عنه. اهـ.

- وقال في «إغاثة اللهفان» (٢/ ٩٠٢): كانوا يقولون [يعني: السلف]: احذروا فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون.

وأصلُ كل فتنة إنما هو من تقديم الرأي على الشرع، والهَوَى على العقل؛ فالأول: أصل فتنة الشبهة. والثاني: أصل فتنة الشهوة.

ففتنة الشبهات: تُدفعُ باليقين، وفتنة الشهوات: تُدفع بالصبر، ولذلك جعل سبحانه إمامة الدين منوطة بهذين الأمرين، فقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة]، فدلَّ على أنه بالصبر واليقين تُنالُ الإمامة في الدين. اهـ.

(١) قال ابن القيم رحمه الله في «رسالته لأحد إخوانه» (ص١٠): قد أثنى الله سبحانه على عباده المؤمنين الذين يسألونه أن يجعلهم أئمة يُهتدى بهم، فقال تعالى في صفات عباده: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يُهتدى بنا في الخير.

وقال أبو صالح: يُقتدى بهدانا.

وقال مكحول: أئمة في التقوى، يَقتدي بنا المتقون.

وقال مجاهد: اجعلنا مؤتمِّين بالمتقين، مقتدين بهم.

وأشكل هذا التفسير على من لم يعرف قدر فهم السلف وعمق علمهم، وقال: يجب أن تكون الآية على هذا القول من باب المقلوب، على تقدير: (واجعل المتقين لنا أئمة)، ومعاذ الله أن يكون شيء من القرآن مقلوبٌ عن وجهه، وهذا من تمام فهم مجاهد رحمه الله؛ فإنه لا يكون الرجل إمامًا للمتقين حتى يأتمَّ بالمتقين، فنبَّه مجاهد على هذا الوجه الذي ينالون به هذا المطلوب، وهو اقتداؤهم بالسلف المتقين من قبلهم فيجعلهم الله أئمة للمتقين من بعدهم، وهذا من أحسن الفهم في القرآن وألطفه، ليس من باب القلب في =

قال محمد بن الحسين:

وهذا النعت ونحوه في القرآن يدلُّ على فضل العلماء، وأن الله عَزَّوَجَلَّ جعلهم أئمة للخلق يَقتدون بهم.

٣ ـ أخبرنا أبو بكر، حدثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني، ثنا مروان بن عبد الله(١) الرقي، ثنا فضيل بن عياض، عن ليث، عن مجاهد في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، قال: العلم والفقه(٢).

٤ ـ حدثنا أبو بكر، ثنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلي، ثنا الحسن بن محمد الزعفراني، ثنا شَبَابة، ثنا ورقاء، عن ابن أبي نَجيح، عن مجاهد في قول الله ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [يوسف: ٢٢]، قال: الفقه، والعقل، والعلم(٣).

٥ ـ أخبرنا أبو بكر، ثنا أبو بكر بن أبي داود، ثنا أسيد بن عاصم، ثنا الحسين

---

= شيء. فمن ائتمَّ بأهل السنة قبله؛ ائتمَّ به من بعده ومن معه. اهـ.

(١) كذا في الأصل.
وفي «الحلية» (٣/ ٢٩٢)، و«الفقيه والمتفقه» (١٠٧): مروان بن عبيد.

(٢) في «البيان والتحصيل» (١٧/ ٢٩٤) قال مالك: ليس العلم بكثرة الرواية، إنما العلم نور يضعه الله في القلوب.
قال محمد بن رشد: النور الذي يضعه الله في القلوب، هو الفهم الذي به تستبين المعاني فيتفقه فيما حمل، فشبَّه ذلك بالنور وهو الضياء الذي به ينكشف الظلام، فمن لم يكن معه ذلك النور، فهو بمنزلة الحمار فيما حمل من كثرة الروايات يحمل أسفارًا. فمن أراد الله به خيرًا أعطاه من ذلك النور.
قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين».
وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].
قال مالك: هو الفقه في دين الله.
وقد أثنى الله ﷻ على من آتاه الفهم، فقال: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩]. و(الحكم): الفهم والفقه، والله أعلم، وبه تعالى التوفيق. اهـ.

(٣) في تفسير ابن أبي حاتم (١١٤٥٢) من طريق شَبابة به، وزاد: (قبل النبوة).

ـ يعني: ابن حفص الأصبهاني ـ، ثنا سفيان، عن ابن أبي نَجيح، عن مجاهد في قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ قال: في العقل، والفقه، والإصابة في القول في غير نُبوَّة.

٦ ـ أخبرنا أبو بكر، حدثنا أبو بكر بن أبي داود، ثنا أبو أُمية، ثنا يزيد بن هارون، ثنا وَرْقَاء، عن ابن أبي نَجيح، عن مجاهد، في قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾، قال: الفقه، والعقل، وإصابة القول في غير نُبوَّة.

٧ ـ أخبرنا [٤/أ] أبو بكر، حدثنا إبراهيم بن موسى الجوزي، ثنا يوسف بن موسى، ثنا وكيع، ثنا علي بن صالح، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في قول الله عز وجل: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، قال: أولو الفقه والخير.

٨ ـ أخبرنا أبو بكر، حدثنا أبو العباس أحمد بن سهل الأشناني، ثنا الحسين بن الأسود العجلي، ثنا يحيى بن آدم، ثنا شريك، عن ليث، عن مجاهد، في قول الله عز وجل: ﴿وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾، قال: الفقهاء والعلماء[1].

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» (٧/ ١٧٥): اختلف أهل التأويل في ﴿أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ﴾ الذين أمر الله عباده بطاعتهم في هذه الآية، فقال بعضهم: هم الأُمراء.

ثم أسند هذا القول عن: أبي هريرة، وابن عباس رضي الله عنهم، وميمون بن مهران، وابن زيد.

وقال آخرون: هم أهل العلم والفقه.

وأسند هذا القول عن: ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، وعطاء بن السائب، والحسن، وأبي العالية. وذكر غيرها من الأقوال، ثم قال: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هم الأُمراء والولاة، لصحة الأخبار عن رسول الله ﷺ بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان طاعة وللمسلمين مصلحة. اهـ.

ـ قال ابن القيم رحمه الله في «الرسالة التبوكية» (٤٥): وقد اختلفت الرواية عن =

٩ ـ **قال**: وحدثنا يحيى بن آدم، ثنا الفضل بن مُهَلْهِل[(١)] عن مغيرة، عن إبراهيم مثله.

---

= الإمام أحمد في (أولي الأمر)، فعنه فيهم روايتان: إحداهما: أنهم العلماء. والثانية: أنهم الأمراء.

والقولان ثابتان عن الصحابة ﷺ في تفسير الآية. والصحيح: أنها متناولة للصنفين جميعًا؛ فإن العلماء والأمراء هم ولاة الأمر الذي بعث الله به رسوله.

فالعلماء وُلَاتُه حفظًا، وبيانًا، وبلاغًا، وذبًّا عنه، وردًّا على من ألحَدَ فيه وزاغَ عنه، وقد وكَّلهم الله بذلك، فقال تعالى: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأنعام].

فيا لها من وكالةٍ أوجبتْ طاعتَهم والانتهاءَ إلى أمرهم، وكون الناس تبعًا لهم.

والأمراءُ وُلَاتُه قيامًا، ورعايةً، وجهادًا، وإلزامًا للناس به، وأخذهم على يد من خَرَج عنه.

وهذان الصنفان هم الناس، وسائر النوع الإنساني تبعٌ لهم ورَعيةٌ. اهـ.

ـ وقال في «مفتاح دار السعادة» (١/ ٧٠): ولما كان كل من الجهاد بالسيف والحُجَّة يُسمَّى: (سبيل الله)؛ فسَّر الصحابة ﷺ قوله: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ بالأمراء والعلماء، فإنهم المجاهدون في سبيل الله، هؤلاء بأيديهم، وهؤلاء بألسنتهم، فطلب العلم وتعليمه من أعظم سبيل الله ﷻ. اهـ.

وانظر: «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٤٠) (تأويل قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ أنهم الفقهاء).

(١) في المطبوع: (المفضل بن مهلهل).

وما أثبته كما في الأصل، والفضل هذا له ترجمة في «الجرح والتعديل» (٧/ ٦٧)، وهو يروي عن مغيرة.

وأخوه المفضل، له رواية كذلك عن مغيرة كما في «تهذيب الكمال» (٢٨/ ٤٢٢). والله أعلم.

# ١ - بَاب

## ذكر ما جاءت به السُّنن والآثار من فضل العلماء في الدنيا والآخرة

**١٠ - أخبرنا** أبو بكر، حدثنا أبو بكر عبد الله بن أبي داود، ثنا أبو طاهر أحمد بن عَمرو المصري، ثنا بِشر بن بكر، عن الأوزاعي، عن عبد السلام بن سليمان[(١)]، عن يزيد بن سَمُرة، عن كثير بن قيس، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«ولفَضلُ العالمِ على العابدِ كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياءَ لم يُورِّثُوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورَّثُوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافِر»**[(٢)] [٤/ب].

---

(١) كذا في الأصل. وفي «التاريخ الكبير» (٦/ ٦٥/ ١٧٢١): (عبد السلام بن سليم).

(٢) رواه أحمد (٢١٧١٥)، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣).

والحديث في إسناده اضطراب كثير. وقد أورد البخاري بعضه في «صحيحه» في (كتاب العلم) ضمن (باب العلم قبل القول والعمل)، فقال: **«وإن العلماء هم ورثة الأنبياء، ورثوا العلم، من أخذه أخذ بحظٍّ وافر، ومن سلك طريقًا يطلب به علمًا؛ سهَّل الله له به طريقًا إلى الجنة»**.

وفي «الفتح» (١/ ١٦٠): وهو طرف من حديث أخرجه أبو داود، والترمذي، وابن حبان، والحاكم مصحَّحًا من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، وحسَّنه حمزة الكناني، وضعَّفه غيرهم بالاضطراب في سنده؛ لكن له شواهد يتقوَّى بها، ولم يفصح المصنف بكونه حديثًا، فلهذا لا يُعدُّ في تعاليقه؛ لكن إيراده له في الترجمة يشعر بأن له أصلًا. اهـ.

=

**١١ ـ أخبرنا** أبو بكر ثنا أبو العباس أحمد بن موسى بن زَنْجُوَيْه القطان، ثنا هشام بن عمار الدمشقي، ثنا حفص بن عمر[(١)]، عن عثمان بن عطاء، عن أبيه، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**فضلُ العالمِ على العابدِ كفضلِ القمر ليلة البدر على سائر الكواكب**[(٢)]**، وإن العلماءَ لهم ورثةُ الأنبياء، إن الأنبياء لم يُورِّثُوا دينارًا ولا درهمًا؛ ولكنَّهم ورَّثُوا العلم، فمن أخذه فقد أخذ بحظٍّ وافِر**»[(٣)].

= قال العُقيلي رحمه الله في «الضعفاء» (٢/ ١٧): في فضل الخروج في طلب العلم أحاديث أسانيدها مختلفة، بعضها أصلح من بعض، فيها أحاديث جيدة الإسناد، عن صفوان بن عسال، وأبي الدرداء، وغيرهما. اهـ.

وانظر شواهد هذا الحديث في تحقيق «مسند أحمد» طبعة الرسالة (٣٦/ ٤٧).

(١) في الأصل: (عمرو)، والصواب ما أثبته كما في الأثر رقم (٢٨).

(٢) قال ابن القيم رحمه الله في «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٧٥): وقوله: «**وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب**»، تشبيه مطابق لحال القمر والكواكب؛ فإن القمر يضيءُ الآفاق، ويمتدُّ نورُه في أقطار العالم، وهذه حال العالِم. وأما الكوكبُ فنوره لا يجاوزُ نفسَه، أو ما قَرُبَ منه، وهذه حال العابد الذي يضيءُ نور عبادته عليه دون غيره، وإن جاوز نورُ عبادته غيرَه فإنما يجاوزه غير بعيد، كما يجاوزُ ضوء الكوكب له مجاوزة يسيرة. اهـ.

وقال (١/ ١٧٦): فإن قيل: كيف وقع تشبيه العالم بالقمر دون الشمس، وهي أعظمُ نورًا؟ قيل: فيه فائدتان:

**إحداهما**: أن نور القمر لما كان مستفادًا من غيره، كان تشبيه العالِم الذي نوره مستفادٌ من شمس الرسالة بالقمر أولى من تشبيهه بالشمس.

**الثانية**: أن الشمس لا يختلفُ حالها في نورها، ولا يلحقُها محاقٌ ولا تفاوتٌ في الإضاءة، وأما القمر فإنه يقلُّ نوره ويكثُر ويمتلئ وينقص، كما أن العلماء في العلم على مراتبهم من كثرته وقلَّته، فيفضل كل منهم في علمه بحسب كثرته وقلَّته، وظهوره وخفائه، كما يكون القمر كذلك، فعالم كالبدر ليلة تمِّه، وآخر دونه بليلةٍ وثانيةٍ وثالثةٍ وما بعدها إلى آخر مراتبه، وهم درجات عند الله. اهـ.

(٣) قال ابن القيم رحمه الله في «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٧٨): وقوله: «**إن العلماء** =

**١٢ ـ أخبرنا** أبو بكر، ثنا أبو جعفر محمد بن الحسن بن بَدِينا الدقاق، ثنا هارون بن عبد الله البزَّاز[(١)]، ثنا يزيد بن هارون، أنبا يزيد بن عياض، عن صفوان بن سُليم، عن سُليمان بن يسار، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«ما عُبِدَ الله بشيءٍ أفضلَ من فَقهٍ في دينٍ، ولفقيهٌ واحدٌ أشدُّ على الشيطان من ألفِ عابدٍ، ولكلِّ شيءٍ عماد، وعمادُ الدين الفقه»**[(٢)].

= **ورثة الأنبياء»**، هذا من أعظم المناقب لأهل العلم، فإن الأنبياء خيرُ خلق الله، فورثتهم خير الخلق بعدهم، ولما كان كل موروثٍ ينتقل ميراثُه إلى ورثته؛ إذ هم الذين يقومون مقامه من بعده، ولم يكن بعد الرسل من يقومُ مقامهم في تبليغ ما أُرسلوا به إلَّا العلماء كانوا أحق الناس بميراثهم...

وفيه أيضًا إرشاد وأمرٌ للأُمَّة بطاعتهم، واحترامهم وتعزيرهم وتوقيرهم وإجلالهم؛ فإنهم ورثة من هذه بعض حقوقهم على الأمة، وخلفاؤهم فيهم.

وفيه تنبيه على أن محبتهم من الدين، وبغضهم منافٍ للدين كما هو ثابت لموروثهم. وكذلك معاداتهم ومحاربتهم معاداة ومحاربة لله كما هو في موروثهم... إلخ.

ـ قال ابن رجب رحمه الله كما في «مجموع الرسائل» (١/ ٥٢): فيه إشارة إلى أمرين:

أحدهما: أن العالم الذي هو وارث للرسول حقيقة، كما أنه ورث علمه فينبغي أن يورثه كما ورث الرسول العلم، وتوريث العالم العلم هو أن يخلفه بعده بتعليم، أو تصنيف، ونحو ذلك مما ينتفع به بعده...

والأمر الثاني: أن من كمال ميراث العالم للرسول ﷺ أن لا يخلف الدنيا كما لم يخلفها الرسول، وهذا من جملة الاقتداء بالرسول وبسُنته في زهده في الدنيا، وتقلُّله منها، واجتزائه منها باليسير... وهكذا كان حال العلماء الربانيين كالحسن وسفيان وأحمد، اجتزؤوا من الدنيا باليسير إلى أن خرجوا منها، ولم يخلفوا سوى العلم.. إلخ.

(١) في الأصل: (البزار)، والصواب ما أثبته كما في «تهذيب الكمال» (٣٠/ ٩٨).

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط» (٦١٦٦)، والدارقطني في «السنن» (٣٠٨٥)، وقال في حديث رقم (٣١٢٢): يزيد بن عياض: ضعيف متروك. اهـ.

* وانظر: «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٠٩) (تفضيل الفقهاء على العُباد).

١٣ ـ أخبرنا أبو بكر، ثنا أبو بكر بن أبي داود، ثنا عمرو بن عثمان، ثنا الوليد بن مسلم، عن روح بن جناح، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «فقيهٌ واحِدٌ أشدُّ على إبليسَ من ألفِ عَابدٍ»[١].

(١) رواه الترمذي (٢٦٨١)، وابن ماجه (٢٢٢)، قال الترمذي: حديث غريب. اهـ.
وفي إسناده: روح بن جناح، قال أبو حاتم: لا يُحتج به. وقال النسائي: ليس بالقوي.
«تهذيب الكمال» (٩/ ٣٣٥).
وضعَّفه ابن القيم رحمه الله في «مفتاح دار السعادة» (١/ ٣٢٧) وقال: هذا وما أشبهه من كلام الصحابة رضي الله عنهم فمن دونهم. اهـ.
وقال أيضًا (١/ ١٨٨): رُوى عن عبد الله بن عَمرو رضي الله عنهما: فضل العالم على العابد سبعين درجة بين كل درجتين حُضر الفرس سبعين عامًا، وذلك أن الشيطان يضع البدعة فيبصرها العالم وينهى عنها، والعابد مقبلٌ على عبادة ربه لا يتوجَّه لها ولا يعرفُها. وهذا معناه صحيح، فإن العالم يُفسِدُ على الشيطان ما يسعى فيه، ويهدمُ ما يبنيه، فكل ما أراد إحياء بدعةٍ وإماتة سُنة حال العالم بينه وبين ذلك، فلا شيء أشد عليه من بقاء العالم بين ظهراني الأمة، ولا شيء أحبَّ إليه من زواله من بين أظهرهم؛ ليتمكَّن من إفساد الدين وإغواء الأمة، وأما العابدُ فغايته ان يجاهدَه ليسلم منه في خاصَّة نفسه، وهيهات له ذلك. اهـ.
ـ وقال ابن رجب رحمه الله كما في «مجموع الرسائل» (١/ ٤١) بعد ذكره للأحاديث في فضل العالم على العباد ـ باختصار ـ: وقد دل هذا الحديث على تفضيل العلم على العبادة تفضيلًا بينًا، والأدلة الدالة على ذلك كثيرة.
قال الله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].
وقال: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].
والآثار الموقوفة عن السلف في هذا كثيرة جدًّا:
فروي عن أبي هريرة وأبي ذر رضي الله عنهما قالا: الباب يتعلمه الرجل أحبُّ إلينا من ألف ركعة تطوعًا. وخرجه ابن ماجه من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا.
وروي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: مُذاكرة العلم ساعة خيرٌ من قيام ليلة.
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: تذاكر العلم بعض ليلة أحبُّ إليَّ من إحيائها. =

**١٤ ـ أخبرنا** أبو بكر، أخبرنا إبراهيم بن الهيثم الناقد، ثنا داود بن رُشَيد، ثنا الوليد، [٥/أ] عن رَوْح بن جناح، عن مجاهد، قال: بينا نحن وأصحاب ابن عباس حِلَقٌ في المسجد؛ طاووس، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وابن عباس رضي الله عنهما قائمٌ يُصلي، إذ وقف علينا رجلٌ، فقال: هل من مُفتٍ؟

= وصحَّ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال: لمجلس أجلسه من عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أوثق في نفسي من عمل سنة.

قال الزهري: تعلم سُنة أفضل من عبادة مائتي سَنة.

وقال الشافعي: طلب العلم أفضل من صلاة نافلة.

ورأى مالك بعض أصحابه يكتب العلم، ثم تركه وقام يُصلي، فقال: عجبًا لك! ما الذي قمت إليه بأفضل من الذي تركته.

وسُئل أحمد: أيما أحب إليك، أن أُصلي بالليل تطوعًا، أو أجلس أنسخ العلم؟ قال: إذا كنت تنسخ ما تعلم أمر دينك فهو أحبُّ إليَّ. وقال أحمد ـ أيضًا ـ: العلم لا يعدله شيء.

ومما يدل على تفضيل العلم على العبادة: قصَّة آدم عليه السلام، فإن الله تعالى إنما أظهر فضله على الملائكة بالعلم، حيث علمه أسماء كل شيء، واعترفت الملائكة بالعجز عن معرفة ذلك، فلما أنبأهم آدم بالأسماء ظهر حينئذ فضله عليهم..

ومما يدل على فضل العلم: أن جبرئيل عليه السلام إنما فَضُلَ على الملائكة المشتغلين بالعبادة بالعلم الذي خُصَّ به، فإنه صاحب الوحي الذي ينزل به على الأنبياء عليهم السلام.

وكذلك خواص الرسل إنما فُضِّلوا على غيرهم من الأنبياء عليهم السلام بمزيد العلم المقتضي لزيادة المعرفة بالله والخشية له...

وإذا ظهر فضل العالم على العابد، فإنما المراد تفضيله على العابد بعلم، فأما العابد بغير علم؛ فإنه مذموم. ولهذا شبَّهه السلف بالسائر على غير طريق، وبأنه يفسد أكثر مما يُصلح.

وبأنه كالحمار في الطاحون، يدور حتى يهلك من التعب ولا يبرح من مكانه.

وهذا أشد ظهورًا ووضوحًا من أن يحتاج إلى بسط القول فيه. اهـ.

وانظر «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٠٠) (فضل التفقه على كثير من العبادات).

فقلنا: سَل.

فقال: إني كلما بُلْتُ تَبِعه الماءُ الدافق.

قال: قلنا: الذي يكون منه الولد؟

قال: نعم.

قلنا: عليك الغُسل.

قال: فولَّى الرجلُ وهو يُرجِّع[١]. قال: وعَجَّل ابن عباسٍ في صلاته، ثم قال لعكرمة: عليَّ بالرجل، وأقبل علينا، فقال: أرأيتم ما أفتيتم به هذا الرجل، عن كتاب الله؟

قلنا: لا.

قال: فعن رسول الله ﷺ؟ قلنا: لا.

قال: فعن أصحاب رسول الله ﷺ؟ قلنا: لا.

قال: فعمَّه؟! قلنا: عن رأينا.

قال: فقال: فلذلك قال رسول الله ﷺ: **«فقيهٌ واحِدٌ أشدُّ على الشيطان من ألفِ عابدٍ»**.

قال: وجاء الرجل، فأقبل عليه ابن عباس، فقال: أرأيت إذا كان ذلك منك، أتجد شهوة في قُبُلِك؟ قال: لا.

قال: فهل تجد خَدَرًا في جسدك؟ قال: لا.

قال: إنما هذه إبردة[٢]، يجزيك منها الوضوء[٣].

---

(١) يعني: يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٢) الإِبردة: بكسر الهمزة والراء: مرض يحدث بسبب غلبة البرد والرطوبة بغير شهوة الجماع، والمعنى: إن كان به إبردة وخرج منيّ لم يجب الغسل لعدم يقين سبب وجوب الغسل. «حاشية ابن قاسم على الروض» (١/ ٢٧١).

(٣) رواه المزي في «تهذيب الكمال» (٩/ ٢٣٦)، وفي إسناده: روح بن جناح، =

قال محمد بن الحسين:

كيف لا يكون العلماء كذلك، وقد قال النبي ﷺ: «من يُرِد الله به خيرًا يُفقِّهه في الدين».

**١٥ ـ أخبرنا** أبو بكر، حدثنا أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله الكَشِّي، ثنا سليمان بن داود [٥/ب] الشاذَكُوني، ثنا عبد الواحد بن زياد، ثنا معمر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيّب، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من يُرِدِ الله به خيرًا يُفقِّهه في الدين»[(١)].

**١٦ ـ أخبرنا** أبو بكر، ثنا الفريابي، ثنا أبو مسعود المِصِّيصي، ثنا علي بن الحسن بن شَقيق، ثنا عبد الله بن المبارك، ثنا يونس، عن الزُّهري، عن حُميد بن عبد الرحمن، قال: سمعت معاوية رضي الله عنه يخطبُ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من يُرِدِ الله به خيرًا يُفقِّهه في الدين»[(٢)].

**١٧ ـ أخبرنا** أبو بكر، ثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، ثنا محمد بن زُنبور المكي، ثنا إسماعيل بن جعفر، ثنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «من يُرِدِ الله به خيرًا يُفقِّهه في الدين»[(٣)].

قال محمد بن الحسين:

فلما أراد الله تعالى بهم خيرًا؛ فقَّههم في دينه، وعلَّمهم الكتاب والحِكمة، وصاروا سُرُجًا للعباد، ومنارًا للبلاد.

---

= وقد تقدم أنه لا يُحتج به.

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بين العلم وفضله» (٨٢) من طريق المصنف.
والحديث رواه المصنِّف في «الأربعين» (١)، وراه أحمد (٧١٩٤)، وابن ماجه (٢٢٠).

(٢) رواه البخاري (٣١١٦)، ومسلم (١٠٣٧).

(٣) رواه الترمذي (٢٦٤٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

١٨ ـ **أخبرنا** أبو بكر، ثنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحُلْواني، ثنا الهيثم بن خارجة، ثنا رِشْدِين بن سعد، عن عبد الله بن الوليد التُّجيبي، عن أبي حفص حدَّثه: أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: قال [٦/أ] النبي ﷺ: «**إنَّ مَثَلَ العلماء في الأرض كمَثَلِ نُجوم السماء، يُهتدى بها في ظُلماتِ البرِ والبحر، فإذا انطمست النجوم يُوشك أن تَضِلَّ الهُداة**»(١).

١٩ ـ **أخبرنا** أبو بكر، ثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الحميد الواسطي، ثنا زهير بن محمد، ثنا الحسن بن موسى، ثنا حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن: أن أبا الدرداء رضي الله عنه قال: مَثَلُ العلماء في الناس كمَثَلِ النجوم في السماء يُهتدى بها(٢).

---

(١) رواه أحمد (١٢٦٠٠). وفي إسناده: رشدين بن سعد، قال أبو حاتم رحمه الله: رشدين منكر الحديث، وفيه غفلة، ويُحدث بالمناكير عن الثقات، ضعيف الحديث. اهـ.

«الجرح والتعديل» (٣/ ٥١٣).

وفيه كذلك: عبد الله التجيبي، قال الدارقطني: لا يعتبر بحديثه. وانظر ما بعده.

(٢) في «المدخل للسُّنن الكبرى» (٣٩٣)، و«الحلية» (٥/ ١٢٠) قال الحسن: كان أبو مسلم الخولاني يقول: مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء، إذا بدت لهم اهتدوا، وإذا خفيت عليهم تحيَّروا.

ـ وفي «الحلية» (٢/ ٢٨٣) قال أيوب، عن كتاب لأبي قِلابة، قال: مثل العلماء كمثل النجوم التي يهتدى بها، والأعلام التي يُقتدى بها، فإذا تغيبت تحيَّروا، وإذا تركوها ضلوا.

ـ وفي «بيان العلم وفضله» (١٩٣٤) عن مطر الورَّاق قال: العلماء مثل النجوم، فإذا أظلمت تكسع الناس.

ـ وفي «الزهد لأحمد» (١١٢٤) عن أبي السوار: أنهم أتوا جندبًا في قُراء أهل البصرة، فقال: .. مثل الذي يُعلِّم الناس ولا يعمل كمثال السراج يضيء للناس ويحرق نفسه.

**٢٠ ـ أخبرنا** أبو بكر، حدثنا أبو بكر ـ أيضًا ـ ثنا زهير بن محمد، أنبا يعلى بن عُبيد، ثنا محمد بن إسحاق، عن عمِّه موسى بن يسار، قال: بلغنا أن سلمان الفارسي رضي الله عنه كتبَ إلى أبي الدرداء رضي الله عنه: إن العلمَ كالينابيع يغشى الناس فيَخْتلِجُه[1] هذا وهذا، فينفع الله به غيرَ واحدٍ، وإن حكمةً لا يُتكلَّمُ بها كجسدٍ لا روح فيه، وإن عِلمًا لا يخرج ككنزٍ لا يُنفقُ، وإنما مثَلُ المعلِّم كمثَلِ رجلٍ حمَلَ سِراجًا في طريق مُظلمٍ يستضيء به مَن مرَّ به، وكلٌّ يدعو إلى الخير.

قال محمد بن الحسين:

فما ظنُّكم ـ رحمكم الله ـ بطريقٍ فيه آفاتٌ كثيرة، ويحتاج الناس إلى سلوكه في ليلة ظلماء، فإن لم يكن فيه ضياء وإلَّا تحيَّروا، فقيَّضَ الله لهم فيه مصابيح تُضيء لهم، فسلكوه على السلامة والعافية، ثم جاءت طبقات [٦/ب] من الناس لا بُدَّ لهم من السلوك فيه، فسلكوا، فبينا هم كذلك إذ طفئت المصابيح، فبقوا في الظُّلمة، فما ظنكم بهم؟!

هكذا العلماء في الناس؛ لا يعلم كثيرٌ من الناس كيف أداء الفرائض؟ ولا كيف اجتناب المحارم؟ ولا كيف يُعْبَدُ الله في جميع ما يعبده به خلقه إلَّا ببقاء العلماء، فإذا مات العلماء تحيَّر الناس، ودَرَسَ العلمُ[2] بموتهم، وظهر الجهل.

فإنا لله وإنا إليه راجعون، مُصيبةٌ ما أعظمَها على المسلمين[3].

(١) في «النهاية» (٢/ ٥٩): أصل الخلج: الجذب والنزع. اهـ.
(٢) أي: ذهب ومحي. «تهذيب اللغة» (٣/ ٥١٣).
(٣) وفي «العلم والحلم» لابن أبي إياس (٦٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لن تزالوا بخير ما إذا حزَّ في نفس الرجل الشيء وجد من هو أعلم منه فمشى إليه فشفاه منه، وايمُ الله ليوشك أن يُلتمسَ ذلك فلا يوجد.

=

**٢١ ـ أخبرنا** أبو بكر، ثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، ثنا زهير، ثنا سعيد بن سليمان، ثنا عطاء بن محمد الحراني، عن بعض أصحابه، قال: قال كعب: عليكم بالعلمِ قبل أن يذهب، فإن ذهاب العلم موتُ أهله، موتُ العالم نجمٌ طُمس، موتُ العالم كسرٌ لا يُجبر، وثُلمةٌ[(١)] لا تُسدُّ، بأبي وأُمِّي العلماء ـ قال: أحسبه قال ـ: قِبلتي إذا لقِيتُهم، وضالَّتي إذا لم ألقَهم، لا خيرَ في الناس إلَّا بهم[(٢)].

**٢٢ ـ أخبرنا** أبو بكر، ثنا أبو أحمد هارون بن يوسف التاجر، ثنا ابن أبي عمر ـ يعني: محمدًا العدني ـ ثنا سفيان بن عيينة، عن هشام بن عُروة، عن أبيه، عن عبد الله بن عَمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن لا يقبضُ العِلمَ انتزاعًا، إنما يقبض العلماءَ، حتى إذا لم يبقَ عالمٌ؛ اتخذ الناس رؤوسًا جُهَّالًا، فسُئِلوا، فأفتوا بغير علمٍ، فضَلُّوا، وأضلوا»**[(٣)].

**٢٣ ـ أخبرنا** أبو بكر، ثنا أبو بكر بن أبي داود، ثنا أحمد بن صالح، ثنا عنبسة، أخبرني يونس، عن ابن شهاب، أخبرني عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله لا ينزعُ العلمَ من الناس بعد أن يؤتيَهم إيَّاه؛**

---

= ـ وفي «جامع بيان العلم» (٢٤٣) عن عبيد الله بن أبي جعفر: العلماء منار البلاد، منهم يقتبس النور الذي يُهتدى به.
ـ وفيه (٢٦٥) عن ميمون قال: إن مثل العالم في البلد كمثل عين عذبة في البلد.

(١) الثُّلمة: الخلل في الشيء، وإناءٌ متثلمٌ. «مجمل اللغة» (١/ ١٦١).

(٢) في «جامع بيان العلم» (٢٣٩) قال ميمون بن مهران: بنفسي العلماء، هم ضالتي في كل بلدة، وهم بغيتي إذا لم أجدهم، وجدت صلاح قلبي في مجالسة العلماء.

(٣) رواه أحمد (٦٥١١)، والبخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).
عقد المصنف رحمه الله لهذا الحديث بابًا في كتابه «فرض العلم»، فانظره ففيه زيادة بيان.

**ولكنه يذهبُ بالعلماءِ، فكلَّما ذهبَ بعالمٍ ذهبَ بما معه من العلم، حتى يبقى من لا يعلم؛ فيضلون»**[1].

٢٤ ـ أخبرنا أبو بكر، أنبأ أبو أحمد هارون بن يوسف، ثنا ابن أبي عُمر، ثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي وائل، قال: سمعت ابن مسعود رضي الله عنه يقول: هل تدرون كيف يَنقُصُ الإسلامُ؟

قالوا: كيف؟

قال: كما ينقُص الدابةَ سِمَنُها، وكما يَنقُصُ الثوبُ عن طول اللُّبس، وكما ينقُصُ[2] الدرهمُ عن طول الخبء[3]، وقد يكون في القبيلة عالمان، فيموت أحدُهما؛ فيَذهب نصفُ عِلمِهم، ويموت الآخرُ؛ فيذهب عِلمُهم كله.

٢٥ ـ أخبرنا أبو بكر، ثنا أبو الفضل العباس بن يوسف الشِّكْلي، قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: [٧/ب]

كلامُ الحكيمِ حياةُ القلوبِ ... كَوبلِ السَّماءِ غياثِ الأُمم
بنطق الحكيم يجلّى الظلام ... وصمتُ الحكيم وِعاء الحِكم
حياةُ الحكيمِ جلاءُ القُلوب ... كَضوءِ النهارِ يُجَلِّي الظُّلَم

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (١٠٤)، وقال: وهذا الحديث لا نعلم أحدًا رواه عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها إلَّا يونس.
وروواه معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عبد الله بن عمرو. اهـ.
وانظر «العلل» للدارقطني (٣٤٨٨) في ذكر الخلاف في طرق هذا الحديث.

(٢) كذا في الأصل، وفي «فرض العلم»: (يقسو)، وهو الصواب.
وفي «إصلاح غلط المحدثين» (٣٦): فأما الدراهم القسِيّة فإنما هي الرديئةُ... وإنما سُمِّيَ الدرهم الزائف قَسِيًّا لجفائِه وصلابتِه، وذلك أن الجَيِّدَ من الدراهم يلينُ وينثني. اهـ.

(٣) أي: السترَ والخفاء.

قال محمد بن الحسين:

**٢٦ - وروي** عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال: تعلَّموا العلم، فإن تعلُّمه لله خشيةٌ، وطَلبه عبادة، ومُدارستَه تَسبيح، والبحثَ عنه جهادٌ[1]، وتعليمه لمن لا يعلمُ صدقة، وبَذله لأهله قُربة؛ لأنه معالم الحلال والحرام، والأنيس في الوحشة، والصاحب في الخَلوة، والدليل على السرَّاء والضراء، والزينُ عند الأخِلَّاء، والقُرب عند الغرباء، يرفع الله به أقوامًا، فيجعلهم في الخلق قادةً قداة يُقتدى بهم، وأئمةً في الخلق تُقتصُّ آثارهم، ويُنتهى إلى رأيهم، وترغبُ الملائكةُ في حُبِّهم، بأجنحتها

(١) في «ذم الكلام» (٢٢٨) عن الحُميدي قال: والله لأن أغزو هؤلاء الذين يردون حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إليَّ من أن أغزو عدتهم من الأتراك.
- قال ابن القيم رحمه الله في «جلاء الأفهام» (ص٤١٥): وتبليغ سُنته إلى الأُمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو؛ لأن ذلك التبليغ يفعله كثير من الناس، وأما تبليغ السُّنن فلا تقوم به إلَّا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم، جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه.اهـ.
وقال في «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٩١) وهو يعدد وجوه فضل العلم: . . . وإنما جعل طلب العلم من سبيل الله؛ لأن به قِوام الإسلام، كما أنَّ قِوامه بالجهاد، فقِوام الدين بالعلم والجهاد، ولهذا كان الجهاد نوعين:
١ - جهادٌ باليد والسِّنان، وهذا المشاركُ فيه كثير.
٢ - وجهادٌ بالحُجَّة والبيان، وهذا جهادُ الخاصَّة من اتباع الرسل، وهو جهادُ الأئمة، وهو أفضل الجهادين؛ لعظم منفعته، وشدَّة مؤنته، وكثرة أعدائه. . .
قال كعب الأحبار: طالب العلم كالغادي الرائح في سبيل الله عز وجل.
وجاء عن بعض الصحابة رضي الله عنهم: إذا جاء الموتُ طالبَ العلم وهو على هذه الحال مات وهو شهيد. وقال سفيان بن عيينة: من طلب العلمَ فقد بايع الله عز وجل.
وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: من رأى الغُدُوَّ والرواح إلى العلم ليس بجهادٍ، فقد نقصَ في عقلِه ورأيه.اهـ.

تَمسحُهم، حتى كلُّ رطبٍ ويابسٍ لهم مستغفر، حتى حيتانُ البحر وهوامُه، وسِباعُ البرِّ وأنعامُه، والسماءُ ونجومها؛ لأن العلمَ حياةُ للقلوب من العَمى، ونورُ الأبصار من الظلم، وقوَّةُ الأبدان من الضَّعف، يبلغ به العبدُ منازلَ الأحرار، ومجالسةَ الملوك، والدرجات العُلى في الدنيا والآخرة، والفكرُ به يعدِل بالصيام، ومدارستُه بالقيام، به يُطاع الله عز وجل، وبه يُعبد الله عز وجل، [٨/أ] وبه تُوصَل الأرحام، وبه يُعرف الحلال من الحرام، [العلمُ] إمام العملِ، والعملُ تابعه، يُلهَمُه السُّعداء، ويُحرَمُه الأشقياء[1].

**٢٧ ـ أخبرنا** أبو بكر، ثنا أبو بكر بن أبي داود، ثنا المصري، ثنا بشر بن بكر، عن الأوزاعي، عن عبد السلام بن سليمان[2]، عن يزيد بن سَمُرة، عن كثير بن قيس، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إنه لَيستغفرُ للعالم كلُّ شيءٍ، حتى الحيتانُ في جَوفِ البحر»**[3].

**٢٨ ـ أخبرنا** أبو بكر، ثنا أبو العباس أحمد بن موسى بن زَنْجَوَيْه القطان، ثنا

(١) ذكر المصنف رحمه الله هذا الأثر من غير إسناد، وقد رواه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٣٨)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢٦٩)، ولا يصح عن حذيفة رضي الله عنه.
ورواه ابن عبد البر أيضًا (٢٦٨) مرفوعًا، وقال: هكذا حدثنيه أبو عبد الله عبيد بن محمد رحمه الله مرفوعًا بالإسناد المذكور، وهو حديث حسن جدًّا؛ ولكن ليس له إسناد قوي. اهـ.

(٢) كذا في الأصل. وفي «التاريخ الكبير» (٦/ ٦٥/ ١٧٢١): (سليمٌ) كما تقدم التنبيه عليه برقم (١٠).

(٣) تقدم تخريجه برقم (١٠).

في «ذم الكلام» (١٠١٢) قال أبو وهب: قيل لابن المبارك: حتى متى تطلب الحديث؟

قال: أليس جاء في الحديث أنه يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في جوف الماء، فلهذا مَتْرَك؟!

هشام بن عمار الدمشقي، ثنا حفص[1] بن عمر، عن عثمان بن عطاء، عن أبيه، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**ما سَلكَ عبدٌ طريقًا يقتبسُ فيه عِلمًا إلَّا سلكَ به طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالبِ العلم رِضًا عنه، وإنه لَيستغفرُ للعالم من في السمٰوات ومن في الأرض، حتى الحيتانُ في البحر**»[2].

**٢٩ ـ أخبرنا** أبو بكر، ثنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحُلواني، ثنا شيبان بن فَرُّوخ، ثنا الصَّعق بن حَزْن، ثنا علي بن الحكم، عن المِنهال بن عَمرو، عن زِرِّ بن حُبيش، ثنا صفوان بن عَسَّال المُرادي رضي الله عنه، قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم [٨/ب] فقلت: يا رسول الله، إني جئتُ أطلب العلم.

فقال: «**مرحبًا يا طالب العلم، إن طالبَ العلم لَتَحُفُّه الملائكة**[3]**، وتُظِلّه بأجنحتها، ثم يركبُ بعضُهم بعضًا حتى يَبلُغوا سماء الدنيا من حُبِّهم لما يطلب**»[4].

---

(١) في «فرض العلم» (٣١): (جعفر).

(٢) رواه ابن ماجه (٢٣٩)، وإسناده منقطع، عطاء بن أبي مسلم الخراساني لم يسمع من أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٣) وفي بعض الأحاديث أن الملائكة تضع أجنحتها له، وسيأتي التعليق عليه.

ـ قال ابن القيم رحمه الله في «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٧٤) وهو يجمع بين الحديثين: ففي هذا الحديث حفُّ الملائكة له بأجنحتها إلى السماء، وفي الأول وضعُها أجنحتَها له؛ فالوضع: تواضعُ وتوقيرُ وتبجيل، والحفُّ بالأجنحة: حفظٌ وحمايةٌ وصيانةٌ. فتضمَّن الحديثان تعظيمَ الملائكة له، وحبها إياه، وحياطته، وحفظه؛ فلو لم يكن لطالب العلم إلَّا هذا الحظُّ الجزيل لكفى به شرفًا وفضلًا. اهـ.

(٤) رواه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٨٢)، والطبراني في «الكبير» (٧٣٤٧)، والحاكم (١/ ١٠٠ و١٠١)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١٦٢).

وفي رواية المصنف خطأ، فإن الصواب في رواية المنهال كما هي عند =

٣٠ ـ **أخبرنا** أبو بكر، ثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، ثنا زُهير بن محمد، أنبأ عبد الرزاق، عن معمر، عن عاصم بن بَهْدَلة، عن زِرِّ بن حُبيش، قال: أتيت صفوان بن عسَّال المُرادي رضي الله عنه فقال: ما جاء بك؟

فقلت: جئتُ ابتغاء العلم.

فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما مِن رَجُلٍ خرجَ من بيته ليطلبَ العلمَ، إلَّا وضعت له الملائكةُ أجنحتَها رِضًا لما يصنعُ»**[(١)].

= أكثر من رواه من طريقه عن زرٍّ بن حُبيش، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان جالسًا عند النبي ﷺ فجاء صفوان بن عسال.. الحديث.

قال الخطيب البغدادي: ذِكرُ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في هذا الإسناد زيادة غير صحيحة؛ لأن زرًّا سمعه من صفوان نفسه. كذلك رواه عاصم بن أبي النجود، وحبيب بن أبي ثابت، وزبيد بن الحارث اليامي، ومحمد بن سوقة، وأبو سعد البقال، عن زِرِّ بن حبيش. انتهى نقلًا من كتاب «تحفة الأشراف» للمزي (٤/ ١٩٣). وانظر الحديث التالي.

(١) رواه عبد الرزاق (٧٩٥)، وأحمد (١٨٠٨٩)، والترمذي (٣٥٣٥)، وقال: حديث حسن صحيح.

ـ قال ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١٦٦): حديث صفوان بن عسَّال رضي الله عنه هذا وقفه قومٌ عن عاصم، ورفعه عنه آخرون، وهو حديث صحيح حسن ثابت محفوظ مرفوع، ومثله لا يقال بالرأي، وممن وقفه سفيان بن عيينة. اهـ.

ـ قال ابن القيم في «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٧١): ووضع الملائكة أجنحتها له تواضعًا له وتوقيرًا وإكرامًا لما يحمله من ميراث النبوة ويطلبه، وهو يدل على المحبة والتعظيم، فمن محبة الملائكة له وتعظيمه تضعُ أجنحتها له؛ لأنه طالبٌ لما به حياة العالم ونجاتُه، ففيه شبهٌ من الملائكة، وبينه وبينهم تناسُب، فإن الملائكة أنصحُ خلق الله وأنفعُهم لبني آدم، وعلى أيديهم حصلَ لهم كل سعادة وعلم وهدى.

ومن نفعهم لبني آدم ونصحهم أنهم يستغفرون لمسيئهم، ويُثبِّتون مؤمنيهم، ويعينونهم على أعدائهم من الشياطين، ويحرصون على مصالح العبد أضعاف =

**٣١ ـ أخبرنا** أبو بكر، ثنا أبو بكر قاسم بن زكريا المطرِّز، ثنا محمد بن الصباح الجَرجرائي[(١)]، ثنا جرير بن عبد الحميد، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«من سَلكَ طريقًا يطلبُ فيه عِلمًا؛ سهَّلَ الله له به طريقًا إلى الجنة»**[(٢)].

---

= حرصه على مصلحة نفسه، بل يريدون له من خير الدنيا والآخرة ما لا يريدُ العبد ولا يخطر بباله..

قال أبو حاتم الرازي: سمعت ابن أبي أويس يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: معنى قول رسول الله ﷺ: **«تضع أجنحتها»** يعني: تبسُطها بالدعاء لطالب العلم بدلًا من الأيدي.

وقال أحمد بن مروان المالكي في كتاب «المجالسة» له: حدثنا زكريا بن عبد الرحمٰن البصري، قال: سمعت أحمد بن شعيب يقول: كنا عند بعض المحدِّثين بالبصرة، فحدثنا بحديث النبي ﷺ: **«إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم»**، وفي المجلس معنا رجلٌ من المعتزلة، فجعل يستهزئ بالحديث، فقال: والله لأُطَرِّقَنَّ غدًا نعلي بمسامير، فأطأ بها أجنحة الملائكة. ففعل، ومشى في النعلين؛ فجفَّت رجلاه جميعًا، ووقعت فيهما الآكِلَة. اهـ.

(١) في الأصل: (الجرجاني)، وهو تصحيف، والصواب ما أثبته كما في «فرض العلم» (٢٦)، وهو كذلك في «الأنساب» للسمعاني (٣/ ٢٤٠) قال: (الجَرْجَرَائي)، بالراء الساكنة بين الجيمين المفتوحتين وراء أُخرى بعدها، هذه النسبة إلى جرجرايا، وهي بلدة قريبة من الدجلة بين بغداد وواسط. وذكر من أهلها: محمد بن الصباح.

(٢) رواه أحمد (٨٣١٦)، ومسلم (٢٦٩٩).

ـ وفي «البيان والتحصيل» (١٨/ ٤٣٩) سُئل مالك فقيل له: يا أبا عبد الله، أترجو لمن خرج في طلب هذا الفقه والعلم في ذلك خيرًا؟

فقال: نعم، لمن حسنت نيته، وهدي لخيره، وأي شيء أفضل منه، قال الله تبارك وتعالى: ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة]، ولكن الناس قد خلطوا. اهـ.

ـ قال ابن القيم رحمه الله في «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٩٥): وقد تظاهر الشرعُ والقدرُ على أن الجزاء من جنس العمل، فكما سلك طريقًا يطلب فيه =

٣٢ ـ **أخبرنا** أبو بكر، أنبأ أبو محمد عبد الله بن العباس الطيالسي(١)، ثنا نصر بن علي، ثنا خالد بن يزيد، ثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ [٩/أ]: «**من خرج في طلب العلم فهو في سبيلِ الله حتى يَرجِعَ**»(٢).

---

= حياة قلبه ونجاته من الهلاك، سلك الله به طريقًا يحصِّل له ذلك. اهـ.

ـ قال ابن رجب رحمه الله كما في «مجموع رسائله» (١/١٢): سلوك الطريق لالتماس العلم: يحتمل أن يراد به السلوك الحقيقي وهو المشي بالأقدام إلى مجالس العلم.

ويحتمل أن يشمل ما هو أعم من ذلك من سلوك الطريق المعنوية المؤدية إلى حصول العلم، مثل: حفظه، ودراسته، ومطالعته، ومذاكرته، والتفهم له، والتفكر فيه، ونحو ذلك من الطرق التي يتوصل بها إلى العلم.

وقال: وسبب تيسير طريق الجنة على طالب العلم؛ إذا أراد به وجه الله عز وجل وطلب مرضاته: أن العلم يدل على الله من أقرب الطرق وأسهلها؛ فمن سلك طريقه ولم يعوج عنه وصل إلى الله وإلى الجنة من أقرب الطرق وأسهلها، فتسهلت عليه الطرق الموصلة إلى الجنة كلها في الدنيا وفي الآخرة.

ومن سلك طريقًا يظنه طريق الجنة بغير علم، فقد سلك أعسر الطرق وأشقها، ولا يوصل إلى المقصود مع عسرة شديدة.

فلا طريق إلى معرفة الله وإلى الوصول إلى رضوانه والفوز بقربه ومجاورته في الآخرة إلَّا بالعلم النافع، الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، فهو الدليل عليه، وبه يهتدى في ظلمات الجهل والشبه والشكوك، وقد سمى الله كتابه نورًا يهتدى به في الظلمات، كما قال تعالى: ﴿...قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [المائدة]. اهـ.

(١) في الأصل: (الواسطي)، وما أثبته من كتاب «فرض العلم» (٣٢)، وهو كذلك في كتب التراجم، انظر «تاريخ بغداد» (٥١٠٨).

(٢) رواه الترمذي (٢٦٤٧)، وقال: هذا حديث حسن غريب ورواه بعضهم فلم يرفعه.

ورواه العقيلي في «الضعفاء» (٥/٢٩) في ترجمة خالد بن يزيد اللؤلؤي، وقال: لا يتابع على كثير من حديثه. ثم ساق هذا الحديث، وقال: وفي فضل الخروج في طلب العلم أحاديث أسانيدها مختلفة، بعضها أصلح من بعض، فيها =

٣٣ ـ أخبرنا أبو بكر، ثنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الُحلواني، ثنا أحمد بن عبد الله بن يونس، ثنا عَنبسة بن عبد الرحمٰن، عن علّاق بن أبي مسلم، عن أبان بن عثمان، عن أبيه[1] عثمان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَشفعُ يومَ القيامة: الأنبياءُ، ثم العلماءُ، ثم الشُّهداء»[2].

٣٤ ـ أخبرنا أبو بكر، ثنا أبو عبد الله أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي، ثنا شجاع بن مَخلَد، ثنا عباد بن العوّام، ثنا هشام، عن الحسن في قول الله عز وجل: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١]، قال: الحسنة في الدنيا: العلم، والعبادة، والجنة في الآخرة.

٣٥ ـ قال محمد بن الحسين:

- فالعلماء في كلِّ حالٍ لهم فضلٌ عظيم في: خروجهم لطلب العلم.
- وفي مجالستهم لهم فيه فضلٌ.
- وفي مُذاكرةِ بعضهم لبعضٍ لهم فيه فضلٌ.

---

= أحاديث جيدة الإسناد، عن صفوان بن عسال، وأبي الدرداء، وغيرهما. اهـ.
وقد تقدم برقم (٢٦) أن طلب العلم من أفضل أنواع الجهاد في سبيل الله.

(١) كلمة (أبيه) ليست عند من خرَّجه.

(٢) رواه ابن ماجه (٤٣١٣)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٤٦١).
وفي إسناده: عنبسة، قال ابن عدي بعد أن ساق بعض رواياته: وعنبسة هذا له غير ما ذكرت من الحديث، وهو منكر الحديث. اهـ.
وفيه كذلك: علاق بن عبد الرحمٰن، قال المزي في «تهذيب الكمال» (٢٢/ ٥٥٠): وهو شيخ مجهول لا يروي عنه غير عنبسة بن عبد الرحمٰن، وهو من الضعفاء المتروكين. اهـ.
وفي شفاعة العلماء وغيرهم ما رواه مسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفيه قول النبي ﷺ: «..فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلَّا أرحم الراحمين..».
وانظر «جامع بيان العلم» (١/ ١٤٩) (تفضيل العلماء على الشهداء).

• وفيمن تعلموا منه العلمَ لهم فيه فضلٌ.

• وفيمن علَّموه العلمَ لهم فيه فضلٌ.

فقد جمع الله للعلماء الخير من جهاتٍ كثيرة، نفعنا الله وإياهم بالعلم.

٣٦ ـ **أخبرنا** أبو بكر، ثنا الفريابي، ثنا هشام بن عمار الدمشقي، ثنا صدقة بن خالد، ثنا عثمان بن أبي العاتكة، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة الباهلي [٩/ب] رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**عليكم بالعلم قبل أن يُقبضَ، وقبل أن يرفع**»، ثم جمع بين أصبعيه: الوسطى والتي تلي الإبهام، وقال: «**العالمُ والمُتعلِّمُ شريكانِ في الأجر، ولا خيرَ في سائرِ الناس بعد**»[(١)].

٣٧ ـ **أخبرنا** أبو بكر، ثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، ثنا زهير بن محمد، ثنا عبد الرزاق، ثنا ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: العالمُ والمتعلِّمُ في الأجر سواءٌ، وسائرُ الناسِ هَمَجٌ[(٢)] لا خيرَ فيهم.

٣٨ ـ **أخبرنا** أبو بكر، ثنا الفريابي، ثنا قُتيبة بن سعيد، ثنا ابن لهيعة، عن خالد بن أبي عمران، عن أبي أمامة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**أربعةٌ تجري عليهم أجورُهم بعد الموت: المُرابطُ في سبيل الله**[(٣)].

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٢٨) والمصنف في «الأربعين» (٢). وفي إسناده: عثمان بن أبي عاتكة، قال ابن معين: ليس بشيء.
وروى هذا الحديث ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٦/ ٢٨٠)، وضعفه.
وانظر «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٣٣) (باب قوله صلى الله عليه وسلم: «**العالم والمتعلم شريكان**»).

(٢) في «النهاية» (٥/ ٢٧٣): (الهمج): رذالة الناس.

(٣) في «مقاييس اللغة» (٢/ ٤٧٨): (الرباط): مُلازمة ثغر العدو، كأنهم قد رُبطوا هناك فثبتوا به ولازموه. اهـ.

ومَن علَّمَ عِلمًا أجري له ما عُمِلَ به.
ورجلٌ تصدَّق بصدقةٍ فأجره يجري ما جرت.
ورجلٌ ترك أولادًا صغارًا فهم يدعون له»(١).

٣٩ ـ أخبرنا أبو بكر، ثنا أبو العباس أحمد بن سهل الأشناني، ثنا الحسين بن علي بن الأسود العجلي، ثنا يحيى بن آدم، ثنا قيس بن الربيع، ثنا شمر بن عطية، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مُعلِّمُ الخير ومُتعلِّمُه يستغفر لهم كلُّ شيءٍ، حتى الحوتُ في البحر(٢).

٤٠ ـ أخبرنا أبو بكر، ثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، [١٠/أ] ثنا زياد بن أيوب، ثنا هشام، ثنا سيار، عن الشعبي، قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إن مُعاذًا كان أُمَّة قانتًا.

قيل له: إن إبراهيم كان أُمَّة قانتًا.

---

(١) رواه أحمد (٢٢٢٤٧ و٢٢٣١٨)، ولفظه: «.. ورجُلٌ تركَ ولدًا صالِحًا يدعو له». وفي إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف.
وخالد بن أبي عمران لم يسمع من أبي أمامة رضي الله عنه، كما قال أبو حاتم في «المراسيل» (١٨٨).
ويغني عنه ما رواه مسلم (١٦٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلَّا من ثلاثة: إلَّا من صدقةٍ جارية، أو علمٍ ينتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له».
قال ابن عبد البر في «التمهيد» (٢٤/٣٢٩): حديث هذا الباب أبلغ شيء في فضائل تعليم العلم اليوم، والدعاء إليه، وإلى جميع سبل البر والخير؛ لأن الميت منها كثير جدًّا.. وعلى قدر فضل معلم الخير وأجره يكون وزر من علم الشرَّ ودعا إلى الضلال؛ لأنه يكون عليه وزر من تعلمه منه، ودعا إليه، وعمل به، عصمنا الله برحمته. اهـ.
(٢) رواه الدرامي في «مسنده» (٣٥٥)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١٨١) بإسناد صحيح.

قال: فقال عبد الله: إنا كنا نُشبِّه معاذًا بإبراهيم [عليه السلام].

قال: قيل له: فما القانت؟

قال: المُطيع لله ولرسوله.

**٤١ ـ أخبرنا** أبو بكر، ثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، ثنا الحسين بن الحسن المَروزي، أنبا ابن المبارك، أنبا الحسن بن ذكوان، عن الحسن، قال: قال ﷺ: «**إن مِن الصدقة: أن تتعلَّمَ العلمَ، ثم تُعلِّمَه ابتغاءَ وجْه الله عز وجل**»[1].

**٤٢ ـ قال محمد بن الحسين:**

قد اختصرتُ من فضل العلماء، وما خصَّهم الله عز وجل به على سائر المؤمنين ما فيه بلاغٌ لمن تدبَّره، فألزم نفسه الطلب للعلم، ليكون معهم، وذلك بتوفيق الله عز وجل.

**فإن قال قائل:** من عَلِمَ العلمَ، وحفِظه، وناظر فيه، يدخل في هذا الفضل الذي ذكرتَ؟

**قيل له:** أرجو أن لا يُخلي الله كلَّ مسلم طلبَ الخير والعلم من خيره الذي وعدَ به العلماء؛ ولكن قد ذُكرت لهم أوصاف وأخلاق[2]، فنحن نذكرها، فمن تدبَّرها من أهل العلم رجع إلى نفسه، فإن كان منهم شكر الله عز وجل على ما خصَّه به، وإن لم تكن أوصافه منهم، وكان ممن علمه حُجَّة عليه [١٠/ب]، استغفر الله عز وجل، ورجعَ إلى الحقِّ من قريب. والله ولي التوفيق.

---

(١) رواه ابن المبارك في «البر والصلة» (١٣٨٥)، وهو حديث مرسل.
ورواه أبو خيثمة في «العلم» (١٣٨) من طريق أشعث، عن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من الصدقة أن يتعلَّم الرجل العلم، فيعمل به، ويُعلِّمه**».
قال الأشعث: ألا ترى أنه بدأ بالعلم قبل العمل.

(٢) في الأصل: (أوصافًا وأخلاقًا)، وما أثبته من نسخة خطية كما في المطبوع.

## ٢ ـ بَاب

# أوصاف العلماء الذين نَفعهم الله بالعلم في الدنيا والآخرة

**٤٣** ـ قال محمد بن الحسين:

لهذا العالمِ صِفاتٌ وأحوالٌ شتَّى، ومَقاماتٌ لا بُدَّ له من استعمالها، فهو مستعمِل في كلِّ حالٍ ما يجب عليه.

• فله صِفةٌ في طلبه للعلم؛ كيف يطلبه؟

• وله صِفةٌ في كثرة العلم إذا كثر عنده؛ ما الذي يجبُ عليه فيه، فيُلزِمه نفسه.

• وله صِفةٌ إذا جالس العلماء؛ كيف يُجالسهم؟

• وله صِفةٌ إذا تعلَّم من العلماء؛ كيف يتعلَّم؟

• وله صفةٌ؛ كيف يُعلِّم غيره؟

• وله صِفةٌ إذا ناظر في العلم؛ كيف يُناظر؟

• وله صِفةٌ إذا أفتى الناس؛ كيف يُفتي؟

• وله صِفةٌ كيف يُجالس الأُمراء، إذا ابتُلي بمجالستهم، ومن يَستحقُّ أن يُجالسه، ومن لا يستحق؟

• وله صِفةٌ عند مُعاشرته لسائر الناس ممن لا علم معه.

• وله صِفةٌ؛ كيف يعبد الله عَزَّوَجَلَّ فيما بينه وبينه؟

قد أعدَّ لكلِّ حقٍّ يلزمه ما يُقوِّيه على القيام به.

وقد أعدَّ لكلِّ نازلةٍ ما يسلم به من شرِّها في دينه، عالمٌ بما يَجتلبُ به الطاعات، عالمٌ بما يدفع به البليَّات، [١١/أ] قد اعتقدَ الأخلاق السَّنية، واعتزل الأخلاق الدنيَّة[١].

---

(١) قال الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي» (١/ ١١٩): والواجب أن يكون طلبة الحديث أكمل الناس أدبًا، وأشد الخَلق تواضعًا، وأعظمهم نزاهة وتدينًا، وأقلهم طيشًا وغضبًا، لدوام قرع أسماعهم بالأخبار المشتملة على محاسن أخلاق رسول الله ﷺ وآدابه، وسيرة السلف الأخيار من أهل بيته وأصحابه، وطرائق المحدثين، ومآثر الماضين، فيأخذوا بأجملها وأحسنها، ويصدفوا عن أرذلها وأدونها.

- قال أبو عاصم: من طلب هذا الحديث فقد طلب أعلى أمور الدنيا، فيجب أن يكون خير الناس.

- وعن ابن شهاب [الزُّهري] قال: إن هذا العلم أدبُ الله الذي أدَّب به نبيه ﷺ، وأدب النبي ﷺ أُمَّته، أمانة الله إلى رسوله ليؤديه على ما أُدي إليه، فمن سمع علمًا فليجعله أمامه حُجَّة فيما بينه وبين الله ﷻ.

- وعن سفيان بن عيينة أنه كان يقول: إن رسول الله ﷺ هو الميزان الأكبر، فعليه تُعرض الأشياء، على خُلقه وسيرته وهديه، فما وافقها فهو الحق، وما خالفها فهو الباطل.

- وفيه (٣٥٨) قال الحجاج بن أرطأة: إن أحدكم إلى أدب حسن أحوج منه إلى خمسين حديثًا.

- وفيه (٣٥٩) عن إبراهيم بن أدهم قال: كنا إذا رأينا الشابَّ يتكلم مع المشايخ في المسجد أيسنا من كل خير عنده. [يعني: يتعالى عليهم، ويُظهر لهم علمه].

- وفي «سير السلف الصالحين» (٣/ ١٣٢٥) عن إبراهيم الخواص قال: ليس العلم بكثرة الرواية، إنما العلم لمن اتبع العلم، واستعمله، واقتدى بالسُّنن وإن كان قليل العلم.

## ذكر صِفته لطلب العلم[١]

**٤٤** ـ فمن صفتِه لإرادته في طلب العلم:

• أن يعلمَ أن الله عَزَّوَجَلَّ فرض عليه عبادته، والعبادةُ لا تكون إلَّا بعلمٍ.

• وعَلِمَ أن العلمَ فريضة عليه.

• وعَلِمَ أن المؤمن لا يَحسُن به الجهلُ؛ فطلبَ العلم لينفي عن نفسه الجهلَ، وليعبُدَ الله عَزَّوَجَلَّ كما أمره، ليس كما تهوى نفسه، فكان هذا مرادَه في السعي في طلب العلم.

• مُعتقدًا للإخلاصِ في سَعيه[٢].

---

(١) قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الشريعة» (١/ ٤٤٩): من كان له علم وعقل، فميَّز جميع ما تقدم ذكري له... علم أنه محتاج إلى العمل به، فإن أراد الله به خيرًا لزم سنن رسول الله ﷺ، وما كان عليه الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ومن تبعهم بإحسان من أئمة المسلمين في كل عصر، وتعلم العلم لنفسه لينتفي عنه الجهل، وكان مراده أن يتعلَّمه لله تعالى، ولم يكن مراده أن يتعلمه للمراءِ والجدال والخصومات، ولا للدنيا، ومن كان هذا مراده سَلِمَ ـ إن شاء الله تعالى ـ من الأهواء والبدع والضلالة، واتبع ما كان عليه من تقدم من أئمة المسلمين الذين لا يستوحش من ذكرهم، وسأل الله تعالى أن يوفقه لذلك. اهـ.

(٢) في «جامع بيان العلم» (١١٩)، و«الحلية» (٦/ ٣٦٦) عن أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت الفريابي يقول: سمعت الثوري يقول: ما من عملٍ أفضل من طلب الحديث إذا صحت النية فيه.

قال أحمد: قلت للفريابي: وأيُّ شيء النية؟

قال: تريد به وجه الله والدار الآخرة.

ـ وفي «الجامع» أيضًا (١١٦) عن ابن وهب قال: كنت عند مالك بن أنس فجاءت صلاة الظهر أو العصر وأنا أقرأ عليه وأنظر في العلم بين يديه، فجمعت كتبي وقمت لأركع. فقال لي مالك: ما هذا؟! قلت: أقوم للصلاة. =

• لا يرى لنفسه الفضلَ في سعيه، بل يرى لله عَزَّوَجَلَّ الفضلَ عليه، إذ وفَّقه لطلب علم ما يعبده به مِن أداء فرائضِه، واجتناب محارِمه(١).

## ذكر صِفته في مشيه إلى العلماء

**٤٥** ـ يمشي برِفقٍ وحلمٍ، ووقار وأدب، مُكتسِبٌ في مشيه كلَّ خير.

• تارة يُحبُّ الوَحدة، فيكون للقرآن تاليًا.

• وتارة بالذِّكر مشغولًا.

---

= قال: إن هذا لعجبٌ! فما الذي قمت إليه بأفضل من الذي كنت فيه إذا صحت النية فيه. [قلتُ: أنكر عليه قيامه لصلاة النافلة، لا أنه أنكر قيامه للفريضة، كما لا يخفى].

ـ وفي «الآداب الشرعية» (٢/ ٣٧) قال مُهنا: قلت لأحمد: حدثنا ما أفضل الأعمال؟ قال: طلب العلم.

قلت: لمن؟ قال: لمن صحت نيته.

قلت: وأيُّ شيءٍ يصحح النية؟ قال: ينوي يتواضع فيه، وينفي عنه الجهل.

ـ وفي «جزء حديث البطاقة» (٢١) قال علي بن الفضيل لأبيه: يا أبه، ما أحلى كلام أصحاب محمد ﷺ. قال: يا بُني وتدري لم حلا؟ قال: لا. قال: لأنهم أرادوا به الله عَزَّوَجَلَّ.

ـ وفي «الحلية» (١٠/ ٢٣١) قيل لحمدون بن أحمد: ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا؟

قال: لأنهم تكلموا لعزِّ الإسلام، ونجاة النفوس، ورضا الرحمٰن.

ونحن نتكلم لعزِّ النفس، وطلب الدنيا، وقبول الخلق.

وانظر: «الجامع لأخلاق الراوي» (١/ ١٢٣) (باب النية في طلب الحديث).

(١) في «جامع بيان العلم وفضله» (٧٠) قال الإمام مالك رحمه الله: الحكمة والعلم نورٌ يهدي به الله من يشاء، وليس بكثرة المسائل.

ولفظه في «الجامع لأخلاق الرواي» (١٥٧٤) قال مالك: إن العلم ليس بكثرة الرواية، إنما العلم نور يجعله الله في القلب.

• وتارة يُحدِّث نفسه بنِعَم الله عَزَّوَجَلَّ عليه، ويقتضي منها الشُّكر.

يستعيذُ بالله من شرِّ سمعه، وبصره، ولسانه، ونفسه، وشيطانه.

• فإن بُلي بمصاحبة الناس في طريقه، لم يصاحب إلَّا من يَعود عليه نفعه، [١١/ب] قد أقام الأصحابَ مقام ثلاثة:

- إمَّا رجل يتعلَّمُ منه خيرًا، إن كان أعلم منه.

- أو رجل هو مثله في العلم، فيذاكره العلم لئلا ينسى ما لا ينبغي أن ينساه.

- أو رجل هو أعلم منه فيُعلِّمه، يريد الله عَزَّوَجَلَّ بتعليمه إياه[١].

---

(١) في «جامع بيان العلم» (٢١٢٨) قال عبد العزيز بن أبي حازم: سمعت أبي يقول: العلماء كانوا فيما مضى من الزمان إذا لقي العالم من هو فوقه في العلم كان ذلك يوم غنيمة، وإذا لقي من هو مثله ذاكره، وإذا لقي من هو دونه لم يزه عليه، حتى كان هذا الزمان! فصار الرجل يعيب من هو فوقه ابتغاء أن ينقطع منه حتى يرى الناسَ أنه ليس به حاجة إليه، ولا يذاكر من هو مثله، ويزهى على من هو دونه؛ فهلك الناس.

- وفيه (٨٧٨) قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: أيامي أربعة: يومٌ أخرج فألقى فيه من هو أعلم مني؛ فأتعلم منه، فذاك يوم فائدتي وغنيمتي.

ويومٌ أخرج فألقى فيه من أنا أعلم منه فأعلمه؛ فذاك يوم أجري.

ويومٌ أخرج فألقى فيه من هو مثلي فأذاكره؛ فذاك يوم درسي.

ويومٌ أخرج فيه فألقى من هو دوني وهو يرى أنه فوقي؛ فلا أكلمه، وأجعله يوم راحتي.

- وفي «الجامع لأخلاق الراوي» (١٧١٣) قال وكيع: لا يكون الرجل عالمًا حتى يسمع ممن هو أسنُّ منه، وممن هو دونه، وممن هو مثله.

وفيه (١٧٢٠) قال سفيان بن عيينة: لا يكون الرجل من أهل الحديث حتى يأخذ عمن فوقه، وعمن هو دونه، وعمن هو مثله.

وفيه (١٧١٨) عن أبي بكر الخلال، قال: سمعت إبراهيم الحربي وذاكروه النزول في الأخذ، فقال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: وقيل له: مالكٌ على =

• لا يَمَلُّ من أصحابه لكثرة صَحبِه، بل يُحبُّ ذلك لما يعود عليه من بركته، قد شغل نفسه بهذه الخصال، خائفٌ على نفسه أن يشتغلَ بغير الحقِّ، قد أجمع الحذر من عدوِّه الشيطان كراهية أن يُزيِّن له قبيح ما نهي عنه.

• يُكثر الاستعاذة بالله من علمٍ لا ينفع، ويسأله علمًا نافعًا.

• همُّه في تلاوة كلام الله عَزَّوَجَلَّ: الفَهْمُ عن الله فيما أَمر ونَهى.

• وفي حِفظِ السُّنن والآثار: الفقه[1] لئلَّا يُضيِّع ما أُمر به، ولأن يتأدَّب بالعلم.

• طويل السُّكوت عما لا يَعنيه حتى يشتاقَ جليسُه إلى حديثه.

• إن ازداد علمًا خافَ من ثبات الحُجَّة، فهو مُشفقٌ في علمه، كلما ازداد علمًا ازداد إشفاقًا.

• إن فاته سَماعُ عِلمٍ قد سمعه غيره فحَزِنَ على فوته؛ لم يكن حُزنُه بغفلةٍ حتى يواقف نفسَه، ويُحاسبَها على الحُزن، فيقول: لم حَزِنتِ؟

احذري يا نفس أن يكون الحزن عليك لا لك، إذ سمعه غيرك ولم تسمعيه أنت، فكان أولى بكِ أن تحزني على علم قد قرع السمع، [١٢/أ] وقد ثبتت عليك به الحُجَّة فلم تعملي به، فكان حُزنُكِ على ذلك أولى من حُزنك على علمٍ لم تسمعيه، ولعلَّك لو قُدِّر لك سماعُه كانت الحُجَّة عليك أوكد، فاستغفرَ الله من حُزنه، وسأل مولاه الكريم أن ينفعه بما قد سمع.

= قدره يسمع من نظرائه!
قال: وما عليه؛ يزداد به علمًا، ولم يضره.

(١) في الأصل: (والفقه).

## صفة مجالسته للعلماء(١)

### ٤٦ ـ فإذا أحبَّ مُجالسة العلماء:

• جالسهم بأدبٍ، وتواضعٍ في نفسه، وخفض صوتَه عن صوتهم(٢).

(١) من أكبر فوائد مجالسة العلماء: الاقتداء بسمتهم وهديهم وأخلاقهم.

ـ في «الجامع لأخلاق الرواي» (١٠) عن ابن سيرين قال: كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم.

قال: وبعث ابن سيرين رجلًا، فنظر كيف هدي القاسم وحاله؟

ـ وفيه (١١) عن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال: قال لي أبي: يا بني، إيت الفقهاء والعلماء، وتعلم منهم، وخذ من أدبهم وأخلاقهم وهديهم، فإن ذاك أحب إليَّ لك من كثير من الحديث.

ـ وفيه (١٢) عن ابن المبارك قال: قال لي مخلد بن الحسين: نحن إلى كثير من الأدب أحوج منا إلى كثير من الحديث.

ـ وفي «مسند الدارمي» (٤٣٥) عن إبراهيم قال: كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى سمته، وإلى صلاته، وإلى حاله، ثم يأخذون عنه.

ـ وفيه (٤٣٧) عن أبي العالية قال: كنا نأتي الرجل لنأخذ عنه، فننظر إذا صلى، فإن أحسنها، جلسنا إليه، وقلنا: هو لغيرها أحسن. وإن أساءها، قمنا عنه، وقلنا: هو لغيرها أسوأ.

ـ وفي «جامع بيان العلم» (٨٢٠) قال إبراهيم: كنا نأتي مسروقًا فنتعلم من هديه ودلّه.

ـ وفي «الكفاية» للخطيب (٢) عن مخلد بن الحسين قال: إن كان الرجل ليسمع العلم اليسير فيسود به أهل زمانه، يُعرف ذلك في صدقه، وفي ورعه، وإنه ليروي اليوم خمسين ألف حديث لا تجوز شهادته على قُلنسوته.

ـ وفي «مسند الدارمي» (٥٥٨) عن الحسن قال: أدركت الناس والناسك إذا نسك، لم يعرف من قبل منطقه، ولكن يُعرف من قبل عمله، فذلك العلم النافع.

(٢) في «الجامع لأخلاق الرواي» للخطيب (٣٤٧) عن إدريس بن عبد الكريم قال: =

• وساءلهم بخضوع، ويكون أكثرُ سؤاله عن عِلْمِ ما تعبَّده الله به[(١)].

= قال لي سلمة بن عاصم: أريد أن أسمع كتاب «العَدد» من خلف، فقلت لخلف: قال: فليجئ، فلما دخل رفعه لأن يجلس في الصدر، فأبى، وقال: لا أجلس إلَّا بين يديك، وقال: هذا حقّ التعليم، فقال له خلف: جاءني أحمد بن حنبل يسمع حديث أبي عوانة، فاجتهدت أن أرفعه فأبى، وقال: لا أجلس إلَّا بين يديك، أُمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه.

- وفيه (٣٤٦) عن حمدان بن الأصبهاني، قال: كنت عند شريك فأتاه بعض ولد المهدي، فاستند إلى الحائط وسأله عن حديث؟ فلم يلتفت إليه، فأعاد عليه، فلم يلتفت إليه، فقال: كأنك تستخف بأولاد الخلافة؟! قال: لا؛ ولكن العلم أزين عند أهله من أن يُضيعوه، قال: فجثا على ركبتيه، ثم سأله، فقال شريك: هكذا يُطلب العلم.

- وفيه (٣٤٨) عن عبد الله بن المعتز قال: المتواضع في طُلَّاب العلم أكثرهم عِلمًا، كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماء.

- وفيه (٣٨٨) عن حجاج قال: كان عَمرو بن قيس المُلائي إذا بلغه الحديث عن الرجل، فأراد أن يسمعه، أتاه حتى يجلس بين يديه، ويخفض جناحه، ويقول: علمني رحمك الله مما علمك الله.

- وفي «الحلية» (٥/ ١٨٤) عن ابن جابر قال: أقبل يزيد بن عبد الملك بن مروان إلى مكحول وأصحابه، فلما رأيناه هممنا بالتوسعة له، فقال مكحول: مكانكم، دعوه يجلس حيث أدرك، يتعلم التواضع.

(١) في «طبقات الحنابلة» (١/ ٧٨) قال الخلال: أخبرني الحسن بن الهيثم، قال: سمعت أبا جعفر شامط القطيعي يقول: دخلت على أبي عبد الله [أحمد بن حنبل]، فقلت: أتوضأ بماء النورة؟

فقال: ما أُحب ذلك.

قلت: أتوضأ بماء الباقلاء؟ قال: ما أُحبُّ ذلك.

قلت: أتوضأ بماء الورد؟ قال: ما أُحبُّ ذلك.

قال: فقمت، فتعلَّق بثوبي، ثم قال: إيش تقول إذا دخلت المسجد؟ فسكت.

فقال: وإيش تقول إذا خرجت من المسجد؟ فسكت، فقال: اذهب فتعلم هذا. =

• ويُخبرهم أنه فقيرٌ إلى علمٍ ما يَسأل عنه.

• فإذا استفاد منهم عِلمًا أعلمهم: أني قد أفدتُ خيرًا كثيرًا، ثم شكرَهم على ذلك.

• وإن غضبوا عليه لم يغضب عليهم، ونظر إلى السببِ الذي من أجله غضبوا عليه، فرجع عنه، واعتذر إليهم(١).

• لا يُضجرهم في السؤال، رَفيقٌ في جميع أموره.

• لا يُناظرهم مُناظرةَ من يُريهم أني أعلمُ منكم، وإنما هِمَّتُه البحثُ لطلب الفائدة منهم، مع حُسنِ التلطُّف لهم.

• لا يُجادلُ العلماء، ولا يُماري السُّفهاء.

---

= ـ وفي «الجامع لابن عبد الحكم» (٨٢) قال مالك: ما كان أول هذه الأُمة بأكثر الناس مسائل ولا هذا التعمُّق، ولقد أدركت هذه البلاد وإنهم ليكرهون الإكثار الذي في الناس اليوم.

قال أبو بكر الأبهري: إنما قال ذلك؛ لأن النبي ﷺ نهى عن قيل وقال، وكثرة السؤال، معنى ذلك فيما لا يعني الإنسان. قال رسول الله ﷺ: «**من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»، فإذا كانت المسائل مما لا تعني الناس، ولا ينزل بهم، كُرِهَ الخوض فيها؛ لأنها تشغل عما بهم الحاجة إليه، وللناس فيما يعنيهم شغل عما لا يعنيهم.

وقال مالك: كان الناس إنما يُعنون بما سمعوا وعلموا. اهـ.

ـ وفي «الجامع لأخلاق الرواي» (٣٣) عن مطر، قال: خير العلم ما نفع، وإنما ينفعُ الله بالعلم من عَلِمَه ثم عَمِلَ به، ولا ينفعُ به من علِمَه ثم تركه.

ـ وفيه (١٥٢٧) قال أبو عبيدة: من شغلَ نفسه بغير المهم أضرَّ بالمهم.

(١) في «الجامع لأخلاق الرواي» (٤٢٥) عن الشافعي قال: كان يختلف إلى الأعمش رجلان، أحدهما كان الحديث من شأنه، والآخر لم يكن الحديث من شأنه، فغضب الأعمش يومًا على الذي من شأنه الحديث، فقال الآخر: لو غضب عليَّ كما غضب عليك لم أعد إليه، فقال الأعمش: إذن هو أحمق مثلك، يترك ما ينفعه لسوء خُلقي.

• يُحسِنُ التأتِّي للعلماءِ مع توقيرِه لهم، حتى يتعلَّمَ ما يزدادُ به عن الله فَهْمًا في دينه(١).

## صفته إذا عُرِفَ بالعلم(٢)

٤٧ ـ فإذا نشرَ الله له الذكرَ عند المؤمنين أنه من أهل العلم، واحتاج [١٢/ب] الناس إلى ما عنده من العلم:

• ألزم نفسه التواضعَ للعالم وغير العالم(٣).

---

(١) في «الجامع لأخلاق الراوي» (٢٢٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: وجدت عامة علم رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هذا الحي من الأنصار، إن كنت لأقيل بباب أحدهم، ولو شئت أن يؤذن لي عليه لأذن لي عليه؛ ولكن أبتغي بذاك طيب نفسه.

وفيه (٣١٠) عن الشعبي، قال: أمسك ابن عباس بركاب زيد بن ثابت رضي الله عنه، فقال: أتمسكُ لي وأنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: إنا هكذا نصنع بالعلماء.

(٢) في «إبطال الحيل» لابن بطة (٣١) قال حبان بن موسى: سُئِلَ عبد الله بن المبارك: هل للعلماء علامة يُعرفون بها؟

قال: علامة العالم: من عَمِلَ بعلمه، واستقلَّ كثير العلم والعمل من نفسه، ورَغِبَ في علم غيره، وقَبِل الحقّ من كل من أتاه به، وأخذ العلم حيث وجده، فهذه علامة العالم وصفته.

قال المروذي: فذكرت ذلك لأبي عبد الله [أحمد بن حنبل]، قال: هكذا هو.

(٣) في «الأربعين المرتبة على طبقات الأربعين» للمقدسي (ص١٨١) من طريق الآجري، حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد، حدثنا إسماعيل بن أبي الحارث، حدثنا يحيى بن أيوب، حدثنا أبو عيسى الحواري، قال: لما قدم سفيان الثوري رملة أو بيت المقدس، أرسل إليه إبراهيم بن أدهم: أن تعال حدثنا. فقيل له: يا أبا إسحاق، سفيان يُبعثُ إليه بمثل هذا! قال: إنما أردت أنظر كيف تواضعه. قال: فجاءهم سفيان. =

• **فأما تواضعُه لمن هو مثلُه في العلم:**

فإنها مَحبةٌ تنبت له في قلوبهم، وأَحبُّوا قُربَه، وإذا غاب عنهم حنَّت إليه قلوبهم.

• **وأما تواضعُه للعلماء:**

فواجبٌ عليه، إذ أراه العلمُ ذلك.

• **وأما تواضعُه لمن دونَه في العلم:**

فشرفُ العلم له عند الله وعند أولي الألباب[(١)].

---

= ـ وفي «البيان والتحصيل» (١٧/ ٤٨٨) عن مالك، عن يحيى بن سعيد أنه قال: ما أخذت أحاديث كثيرة من أحاديث سعيد بن المسيب إلَّا عند أصحاب العباء في السوق، وما أخذت من سالم بن عبد الله أحاديث كثيرة إلَّا في ظل المنارة التي في السوق، كان يقعد في ظلها، وسعيد عند أصحاب العباء، قال مالك: كان ذلك من شأن الناس يخرجون إلى السوق ويقعدون فيه.

قال محمد بن رشد: في هذا تواضع العلماء برضاهم بالدون من المجلس ومجالسة المساكين، ودخول الأسواق، ومن تواضع لله رفعه الله. اهـ.

ـ وفي «التواضع» لابن أبي الدنيا (١١٦) قال صالح المري: خرج الحسن، ويونس، وأيوب يتذاكرون التواضع.

فقال لهم الحسن: وهل تدرون ما التواضع؟ التواضع: أن تخرج من منزلك فلا تلق مسلمًا إلَّا رأيت له عليك فضلًا.

ـ وفي «جامع بيان العلم» (٩٦٤) قال إبراهيم بن الأشعث: سألت الفضيل بن عياض عن التواضع؟

فقال: أن تخضع للحق، وتنقاد له ممن سمعته ولو كان أجهل الناس لزمك أن تقبله منه.

وانظر: «جامع بيان العلم» (١/ ٥٦٢) (فصل في مدح التواضع، وذم العُجب، وطلب الرئاسة).

(١) في «مسند أحمد» (١١١) عن الحارث بن معاوية الكندي، أنه ركب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأله عن ثلاث خلال، قال: فقدم المدينة، فسأله =

• **وكان مِن صفته في علمه، وصدقه، وحسن إرادته:**

يُريدُ اللهَ بعلمِه.

• **فمن صفتِه:**

• أنه لا يطلبُ بعلمِه شرفَ منزلةٍ عند الملوك، ولا يحمله إليهم[1].

• صائنٌ للعلم إلَّا عن أهله[2].

= عمر: ما أقدمك؟ قال: لأسألك عن ثلاث خلال، قال: وما هن؟... قال: وعن القَصص، فإنهم أرادوني على القصص.

فقال: ما شئت، كأنه كره أن يمنعه، قال: إنما أردت أن أنتهي إلى قولك.

قال: أخشى عليك أن تقصَّ فترتفع عليهم في نفسك، ثم تقصَّ فترتفع، حتى يُخيل إليك أنك فوقهم بمنزلة الثُّريّا، فيضعك الله تحت أقدامهم يوم القيامة بقدر ذلك.

(١) في «الجامع لأخلاق الراوي» (٨٥٧) عن الزهري قال: هوانٌ بالعلم وذلَّة أن يحمله العالم إلى بيت المتعلم.

ـ وفيه (٨٥٩) عن ابن عرعرة قال: كان طاهر بن عبد الله ببغداد، فطمع في أن يسمع من أبي عُبيد [القاسم بن سلَّام]، وطمع أن يأتيه في منزله، فلم يفعل أبو عُبيد حتى كان هذا يأتيه.

وانظر «الجامع لأخلاق الراوي» (١/ ٥٨٢) (إعزاز المحدِّث نفسه وترفعه عن مضيه إلى منزل من يريد السماع منه)، و(١/ ٥٣١) (ومن كان لا يُحدِّث السلاطين).

(٢) في «الجامع لأخلاق الراوي» (٨٣٧) عن مقاتل بن صالح الخراساني ـ صاحب الحُميدي ـ بمكة، قال: دخلت على حماد بن سلمة فإذا ليس في البيت إلَّا حصير، وهو جالس عليه، ومصحف يقرأ فيه، وجرابٌ فيه علمه، ومطهرةٌ يتوضأ فيها، فبينا أنا عنده جالس إذ دقَّ عليه داقٌّ الباب، فقال: يا صبية، اخرجي فانظري من هذا، قالت: هذا رسول محمد بن سليمان، قال: قولي له يدخل وحده، فدخل، فسلَّم، وناوله كتابه، فقال: اقرأه، فإذا فيه: بسم الله الرحمٰن الرحيم، من محمد بن سليمان إلى حماد بن سلمة، أما بعد؛ =

= فصبَّحك الله بما صبَّح به أولياءه وأهل طاعته، وقعت مسألة، فأتنا نسألك عنها.

قال: يا صبية، هلمِّي الدواة، ثم قال لي: اقلب الكتاب، واكتب:

أما بعد؛ وأنت فصبَّحك الله بما صبح به أولياءه، وأهل طاعته، إنا أدركنا العلماء وهم لا يأتون أحدًا، فإن وقعت مسألة فأتنا فسلنا عما بدا لك، وإن أتيتني فلا تأتني إلَّا وحدك، ولا تأتني بخيلك ورجلك، فلا أنصحك، ولا أنصح نفسي، والسلام.

فبينا أنا عنده جالس إذ دقَّ داق الباب، فقال: يا صبية، اخرجي فانظري من هذا؟

قالت: هذا محمد بن سليمان. قال: قولي له يدخل وحده، فدخل فسلَّم، ثم جلس بين يديه، ثم ابتدأ، فقال: ما لي إذا نظرت إليك امتلأت رُعبًا، فقال حماد: سمعت ثابتًا البُناني يقول: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء، وإذا أراد أن يكنز به الكنوز هاب من كل شيء**».. إلخ.

- وفيه (٧٦٧) عن الحجاج بن حمزة، قال: أتى ابنَ المبارك ابنُ والي خراسان، فسأله أن يُحدِّثه، فأبى عليه ولم يُحدِّثه، فلما خرج خرج معه ابن المبارك إلى باب الدار، فقال له: يا أبا عبد الرحمٰن، سألتك أن تُحدِّثني فلم تحدثني! وخرجت معي إلى باب الدار! فقال: أما نفسي فأهنتها لك، وأما حديث رسول الله ﷺ فإني أجلُّه عنك.

- وفيه (٧٦٨) عن أبي صالح الفراء، قال: قيل لفُضيل بن عياض: لم لا تحدِّث جعفر بن يحيى؟

قال: أنا أجل حديث رسول الله ﷺ أن أُحدِّث به جعفر بن يحيى.

- وفيه (٧٧٠) عن عبد الله بن كامل، عن مالك، أو غيره، قال: لما دخل ربيعة على الوليد بن يزيد وهو خليفة، قال: يا ربيعةَ حدثنا. قال: ما أُحدِّث شيئًا، قال: فلما خرج من عنده، قال: ألا تعجبون من هذا الذي يقترح عليَّ كما يقترح على المُغنِّية: حدثنا يا ربيعة!

• ولا يأخذُ على العلمِ ثَمنًا[(١)].

• ولا يَستَقضي به الحوائج[(٢)].

• ولا يُقرِّبُ أبناءَ الدنيا، ويُباعد الفقراء، بل يُقرِّبُ الفقراء، ويتجافى عن أبناء الدنيا.

• يتواضعُ للفقراءِ والصالحين؛ ليُفيدَهم العلم.

• **وإن كان له مجلسٌ قد عُرِفَ بالعلم:**

ألزم نفسه حُسنَ المُداراةِ لمن جالسه، والرِّفقَ بمن ساءلَه، واستعمالَ الأخلاق الجميلة، ويتجافى عن الأخلاق الدنيِّة.

**٤٨ ـ فأما أخلاقُه مع مُجالسيه:**

• فصبورٌ على من كان ذهنُه بطيئًا عن الفَهم حتى يَفهم عنه.

• صبورٌ على جفاءِ من جَهِلَ عليه حتى يردَّه بحلمٍ.

---

(١) قال الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (١/ ٥٦١): (باب ذكر ما ينبغي للمُحدِّث أن يصون نفسه عنه من أخذ الأعواض على الحديث).

ـ وأسند فيه (٨٣٨) عن عبد الرحمٰن بن يوسف بن خراش قال: بلغني عن حفص بن غياث، قال: بعث العباس بن موسى أمير الكوفة إلى الأعمش بألف درهم وصحيفة، فقال: اكتب لي فيها من حديثك. فأخذ الألف درهم، وكتب له فاتحة الكتاب، فبعث بها إليه، فبعث إليه: أبلغك أنا لا نحسن القرآن؟! فبعث إليه: أبلغك أنا نبيع العلم.

ـ وفيه (٨٤١) عن محمد بن عيسى بن الطباع قال: أهدوا للأوزاعي هديةً أصحاب الحديث، فلما اجتمعوا قال لهم: أنتم بالخيار، إن شئتم قبلت هديتكم ولم أُحدِّثكم، وإن شئتم حدَّثتكم، ورددت هديتكم.

(٢) ذكر المُصنِّف في «أخلاق حملة القرآن» (٧٢و٧٣) آثارًا حسنة في هذا الباب.

وانظر: «الجامع لأخلاق الراوي» (١/ ٥٨٠) (من تورَّع أن يستقضي سامع الحديث منه حاجة).

• يؤدِّبُ جُلساءه بأحسن ما يكون من الأدب.

• لا يدعهم يخوضون فيما لا يعنيهم. [١٣/أ]

• ويأمرهم بالإنصات مع الاستماع إلى ما ينطق به من العلم(١).

• فإن تخطَّى أحدهم إلى خُلقٍ لا يحسن بأهل العلم، لم يَجْبَهْه في وجهه على جهة التبكيت له(٢)؛ ولكن يقول: لا يَحسنُ بأهل العلم والأدبِ كذا وكذا، وينبغي لأهل العلم أن يتجافوا كذا وكذا، فيكون الفاعل لخُلقٍ لا يَحسُن، قد علم أنه المراد بهذا، فيُبادر برفقه به.

• إن سأله منهم سائلٌ عما لا يَعنِيه ردَّه عنه، وأمره أن يَسألَ عما يَعنيه(٣).

• وإذا علمَ أنهم فُقراء إلى عِلمٍ قد غفلوا عنه(٤)؛ أبداه إليهم، وأعلمهم شِدَّة فقرِهم إليه.

• لا يُعنِّفُ السائل بالتوبيخ القبيح فيُخْجِله، ولا يَزجره فيضَعَ من قدره؛ ولكن يَبسُطَه في المسألة ليَجبُرَه فيها، قد علم بغيبه عما يعنيه، وبحثه على طلب علم الواجبات من علم أداء فرائضه(٥)، واجتناب محارِمه.

• يُقْبِلُ على من يَعلمَ أنه محتاجٌ إلى علم ما يسأل عنه، ويتركُ من يَعلم أنه يُريد الجدل والمِراء.

---

(١) في «الجامع لأخلاق الراوي» (٣٢٩) عن الضحاك بن مزاحم، قال: أول باب من العلم: الصمت، والثاني: استماعه، والثالث: العمل به، والرابع: نشره وتعليمه.

(٢) في «الصحاح» (١/ ٢٤٤): التَّبْكيتُ: كالتقريع والتعنيف.اهـ.

(٣) تقدم نقل بعض الآثار في ذلك برقم (٤٦).

(٤) في الأصل: (أغفلوه عنه).

(٥) في الأصل: (فريضة).

• يُقرِّبُ عليهم ما يخافون بُعدَه بالحكمة والموعظة الحسنة.

• يسكت عن الجاهل حِلمًا، ويَنشُر الحِكمة نُصحًا.

فهذه أخلاقُه لأهلِ مجلِسه وما شاكل هذه الأخلاق.

**٤٩ ـ وأمَّا ما يَستعمل مع من يسألُه عن العلم والفُتيا:**

فإن مِن صفته إذا سأله سائلٌ عن مسألة:

• فإن كان عنده علمٌ أجابَ، وقد جعل أصله: أن [١٣/ب] الجواب من كتاب الله وسُنةٍ وإجماعٍ.

• فإذا أوردت عليه مسألةٌ قد اختلف فيها أهلُ العلم اجتهد فيها:

فما كان أشبهَ بالكتاب والسُّنة والإجماع، ولم يخرج به مِن قول الصحابة رضي الله عنهم وقول الفقهاء بعدهم؛ قال به. إذا كان موافقًا لقول بعض الصحابة رضي الله عنهم وقول بعض أئمة المسلمين؛ قال به.

• وإن كان [ما] قد رآه مما يُخالفُ به قولَ الصحابة رضي الله عنهم، وقولَ فقهاءِ المسلمين حتى يخرجَ عن قولهم؛ لم يَقُل به، واتَّهم رأيه، ووجب عليه أن يُسائل من هو أعلمُ منه أو مثله، حتى ينكشفَ له الحقُّ، ويسأل مولاه أن يوفِّقه لإصابة الخير والحقِّ(١).

---

(١) في «الإبانة الكبرى» (٦٩٩) قال أبو بكر المروذي: سمعت أبا عبد الله [أحمد بن حنبل] يقول: لست أتكلم إلَّا ما كان في كتاب الله، أو سُنة رسول الله ﷺ، أو عن أصحابه، أو عن التابعين، فأما غير ذلك فالكلام فيه غير محمودٍ.

ـ وفي «طبقات الحنابلة» (٣/ ٢٩) قال الإمام أحمد رحمه الله: إنما على الناس اتباع الآثار عن رسول الله ﷺ، ومعرفة صحيحها من سقيمها، ثم يتبع إذا لم يكن لها مخالفٌ، ثم بعد ذلك: قول أصحاب رسول الله ﷺ الأكابر، وأئمة الهدى يُتَّبعون على ما قالوا، وأصحاب رسول الله ﷺ كذلك لا يُخالفون، إذا لم يكن قول بعضهم لبعض مخالفًا، فإن اختلفوا: نظر في الكتاب فأيُّ قولهم =

• وإذا سُئِل عن علمٍ لا يعلمه؛ لم يَستحِ أن يقول: لا أعلم.

• وإذا سُئِل عن مسألةٍ فعَلِمَ أنها من مسائل الشَّغَبِ، ومما يورث الفتن بين المسلمين؛ استَعفى منها، ورَدَّ السائل إلى ما هو أولى به، على أرفق ما يكون.

• وإن أفتى بمسألةٍ فعَلِمَ أنه أخطأ؛ لم يستنكفْ أن يرجعَ عنها.

• وإن قال قولًا فردَّه عليه غيرُه ـ ممن هو أعلم منه، أو مثلُه، أو دونَه ـ فعَلِمَ أن القول كذلك، رَجعَ عن قوله، وحَمِده على ذلك وجزاه خيرًا.

---

= كان أشبه بالكتاب أخذ به، أو كان أشبه بقول رسول الله ﷺ أخذ به، فإذا لم يأتِ عن رسول الله ﷺ، ولا عن أحدٍ من أصحاب النبي ﷺ؛ نظرَ في قول التابعين، فأيُّ قولهم كان أشبه بالكتاب والسُّنة أخذ به، وترك ما أحدث الناس بعدهم.

ـ وفيه (٣/٢٨) قال الفضل: سمعت أبا عبد الله وسُئل عن الرجل يسأل عن الشيء من المسائل.. فيُفتي بقول مالك وهؤلاء؟ قال: لا، إلَّا بسُنة رسول الله ﷺ وآثاره، وما رُوي عن أصحابه ﵃، فإن لم يكن رُوي عن أصحابه شيء فعن التابعين.

ـ وقال حرب الكرماني رحمه الله في عقيدته (٨٧): والدِّينُ إنما هو: كتابُ الله ﷿، وآثارٌ، وسُننٌ، ورواياتٌ صحاحٌ عن الثِّقاتِ بالأخبارِ الصَّحيحة القويةِ المعروفةِ المشهورة، يرويها الثقةُ الأولُ المعروف عن الثاني الثقة المعروف، يُصدِّقُ بعضُهم بعضًا، حتى ينتهي ذلك إلى النبي ﷺ، أو أصحابِ النبيِّ، أو التابعين، أو تابعِ التابعين، أو مَن بعدهم مِن الأئمةِ المعروفين المُقتدى بهم، المُتمسِّكين بالسُّنةِ، والمُتعلِّقين بالأثرِ، الذين لا يُعرَفون ببدعةٍ، ولا يُطعنُ عليهم بكذِبٍ، ولا يُرمون بخلافٍ، وليسوا أصحاب قياسٍ، ولا رأيٍ؛ لأن القياسَ في الدِّينِ باطلٌ، والرَّأي كذلك، وأبطلَ منه. اهـ.

ـ وفي «الأموال» لأبي عبُيد (٩٤): كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن يسأله: ما بال من مضى من الأئمة قبلنا أقروا المجوس على نكاح الأُمهات والبنات؟ وذكر أشياء من أمرهم قد سماها. قال: فكتب إليه الحسن: أما بعد؛ فإنما أنت متبعٌ، ولست بمبتدع، والسَّلام.

• [و]إن سُئِلَ عن مسألةٍ اشتبه القولُ عليه فيها قال: (سَلوا غيري)، ولم يتكلَّف ما لا يتقرَّر عليه. [١٤/أ]

• يحذر من المسائل المُحدثات من البدع، لا يُصغي إلى أهلها بسمعه، ولا يَرضى بمُجالسة أهل البدع، ولا يُماريهم[(١)].

• أصلُه: الكتاب، والسُّنة، وما كان عليه الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ومَن بعدهم مِن التابعين، ومَن بعدهم مِن أئمة المسلمين.

• يأمرُ بالاتباع، وينهى عن الابتداع.

• لا يُجادلُ العلماءَ، ولا يُماري السُّفهاءَ[(٢)].

---

(١) عقد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بابًا في «الشريعة» في هجر أهل البدع والأهواء، والتحذير منهم، والاستماع لكلامهم، فقال: (باب ذكر هجرة أهل البدع والأهواء)، ومما قال فيه: (ينبغي لكل من تمسك بما رسمناه في كتابنا هذا أن يهجر جميع أهل الأهواء من مثل: الخوارج، والقدرية، والمرجئة، والجهمية، وكل من ينتسب إلى المعتزلة، وجميع الروافض، وجميع النواصب، وكل من نسبه أئمة المسلمين أنه مُبتدع بدعة ضلالة، وصحّ عنه ذلك، فلا ينبغي أن يُكلّم، ولا يُسلّم عليه، ولا يُجالس، ولا يُصلى خلفه، ولا يُزَوّج، ولا يتزوج إليه من عرفه، ولا يشاركه، ولا يعامله، ولا يناظره، ولا يجادله؛ بل يذله بالهوان له، وإذا لقيته في طريق أخذت في غيرها إن أمكنك). اهـ.

(٢) فإن جاءه من يسأله ويجادله عن بعض الأهواء والبدع التي ظهرت، والمذاهب القبيحة التي قد انتشرت، وعَلِمَ من حاله وسؤاله أنه يريد الحق، وأن سؤاله سؤال مسترشد يلتمس المخرج مما بُلي به أو بلي به غيره، فعليه أن يرشده، ويُبيِّن له الحق والصواب، ويحذِّره من الأهواء والبدع ومن شبههم وضلالتهم؛ ولكن كما قال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «إبانته الكبرى» (٧٠٥): وليكن ما ترشدُه به، وتوقفه عليه من: الكتاب، والسُّنة، والآثار الصحيحة عن علماء الأمة من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين. وكلٌّ ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة. وإياك والتكلُّف لما لا تعرفه، وتمحّل الرأي، والغوص على دقيق الكلام: فإن ذلك من فعلك بدعة، وإن كنت تريد به السُّنة، فإن إرادتك للحقِّ من غيرِ طريق =

• همُّه في تلاوة كلام الله: الفَهْمُ.

• وفي سُنن الرسول ﷺ: الفقه؛ لئلا يضيِّع ما لله عليه، وليعلم كيف يتقرَّبُ إلى مولاه.

• مُذكِّرٌ للغافلِ، مُعلِّمٌ للجاهل.

• يَضعُ الحكمة عند أهلها، ويمنعُها مَن ليس بأهلها.

• مَثلُه مَثلُ الطبيب: يضعُ الدواء بحيث يعلم أنه ينفع[1].

فهذه صفته، وما يُشبه هذه الأخلاقَ الشريفة، إذ[2] كان الله عَزَّوَجَلَّ قد نشر له الذِّكر بالعلم في قلوب الخلق، فكلَّما ازداد علمًا ازداد لله تواضعًا، يطلب الرفعة من الله عَزَّوَجَلَّ، مع شدَّة حذرِه من واجب ما يلزمُه من العلم.

## ذِكرُ صفةِ مُناظرةِ هذا العالم إذا احتاج إلى المناظرة

قال محمد بن الحسين:

٥٠ ـ اعلموا ـ رحمكم الله ووفقنا الله وإياكم للرشاد ـ أن مِن صفة هذا العالم العاقل الذي قد فقَّهه الله في الدين، ونفعه بالعلم:

• أن لا يُجادل، ولا يُماري، ولا يُغالب [١٤/ب] بالعلم إلَّا لمن يستحقُّ أن يغلبه بالعلم الشافي.

---

= الحقِّ باطل، وكلامك على السُّنة من غير السُّنة بدعة. فلا تلتمس لصاحبك الشفاء بسقم نفسِك، ولا تطلب صلاحه بفسادك، فإنه لا ينصح الناس من غشَّ نفسه، ومن لا خيرَ فيه لنفسه، لا خير فيه لغيره. فمن أراد الله وفَّقه وسدده، ومن اتقى الله أعانه ونصره. اهـ.

(١) في «الجامع لأخلاق الراوي» (١٣٦٣) عن وهب بن مُنبِّه، قال: ينبغي للعالم أن يكون بمنزلة الطباخ الحاذق يعمل لكل قومٍ ما يشتهون من الطعام، وكذلك ينبغي للعالم أن يُحدِّث كل قومٍ بما تحتمله قلوبهم وعقولهم من العلم.

(٢) في الأصل: (إذا)، والصواب ما أثبته.

وذلك أن يحتاج في وقتٍ من الأوقات إلى مُناظرة أحدٍ من أهل الزيغ، ليدفع بحقِّه باطلَ من خالف الحقَّ، وخرج عن جماعة المسلمين، فيكون غَلبتُه لأهل الزيغ تعود بركتُه على المسلمين، على جهة الاضطرار إلى المناظرة لا على الاختيار؛ لأن مِن صفة العالم العاقل أن لا يُجالس أهل الأهواء، ولا يُجادلهم، فأما في العلم والفقه من سائر الأحكام فلا.

**فإن قال قائل:**

فإن احتاج إلى علم مسألةٍ قد أَشْكل عليه معرفتُها لاختلافِ العلماء فيها، لا بُدَّ له من أن يُجالسَ العلماءَ ويُناظرَهم حتى يعرف القولَ فيها على صحَّتِه، وإن لم يُناظر لم تقوَ معرفتُه؟

**قيل له:**

بهذه الحُجَّة يدخلُ العدوُّ على النفس المُتَّبِعة للهوى، فيقول: إن لم تُناظر وتُجادل لم تَفقَه، فيجعلُ هذا سببًا للجدل والمراءِ المنهيِّ عنه، الذي يُخاف منه سوءُ عاقبته، الذي حذَّرناه النبيُّ، وحذَّرَناه العلماء من أئمة المسلمين.

**٥١** ـ ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**من ترك المِراءَ وهو صادقٌ، بَنى اللهُ له بيتًا في وسط الجنة**»(١).

**٥٢** ـ وعن مسلم بن يسار أنه كان يقول: إياكم والمراء، فإنها ساعةُ جهلِ العالم، وبها [١٥/أ] يبتغي الشيطان زَلَّته.

(١) رواه الروياني في «مسنده» (١٢٠٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ١٨٦/ ٧٧٧٠)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٥٥٨)، وابن البناء في «الرد على المبتدعة» (٢١).

**٥٣** ـ وعن الحسن قال: ما رأينا فقيهًا يُماري.

**٥٤** ـ وعن الحسن ـ أيضًا ـ قال: المؤمن يُداري ولا يُماري، ينشرُ حكمة الله، فإن قُبِلت حَمِدَ الله، وإن رُدَّت حَمِدَ الله.

**٥٥** ـ ورُوي عن معاذ بن جبلٍ رضي الله عنه أنه قال: إذا أحببتَ أخًا: فلا تُمارِه، ولا تُشارِه[(١)]، ولا تُمازِحه[(٢)].

قال محمد بن الحسين:

**٥٦** ـ وعند الحُكماء: أن المِراء أكثره يُغيِّر قلوب الإخوان، ويورث التفرُّق بعد الأُلفة، والوحشةَ بعد الأُنس.

**٥٧** ـ وعن أبي أُمامة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«ما ضلَّ قومٌ بعد هُدى كانوا عليه إلَّا أوتوا الجدل»**[(٣)].

---

(١) (المشارة): المخاصمة. «مختار الصحاح» (ص١٦٣).

(٢) في «الزهد» لابن المبارك من رواية نُعيم بن حماد (٣٥) قال عمر بن عبد العزيز: . . . وإياي والمزاحة؛ فإنها تجر القبيحة، وتورث الضغينة، تحدثوا بالقرآن، وتجالسوا له، فإن ثقُل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال.

ـ قال الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (١/ ١٥٦): يجب على طالب الحديث أن يتجنب اللعب، والعبث، والتبذل في المجالس بالسخف، والضحك، والقهقهة، وكثرة التنادر، وإدمان المزاح، والإكثار منه، فإنما يستجاز من المزاح يسيره ونادره وطريفه الذي لا يخرج عن حد الأدب، وطريقة العلم، فأما متصله وفاحشه وسخيفه وما أوغر منه الصدور وجلب الشر؛ فإنه مذموم، وكثرة المزاح والضحك يضع من القدر، ويزيل المروءة. اهـ.

وانظر: (١/ ١٠١) (باب تجنبه المزاح مع أهل المجلس).

(٣) رواه أحمد (٢٢٢٠٤)، والترمذي (٣٢٥٣)، وابن ماجه (٤٨).

قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

فالمؤمن العالم العاقل يخاف على دينه من الجدل والمراء(١).

**٥٨ ـ فإن قال:** فما يَصنع في علمٍ قد أَشْكل عليه؟

**قيل له:**

إذا كان كذلك، وأراد أن يستنبط علم ما أَشْكل عليه:

• قصدَ إلى عالم ممن يعلم أنه يريدُ بعلمه الله، ممن يرتضي علمَه وفهمه وعقلَه، فذاكرَه مُذاكرةً من يطلُب الفائدة.

• وأعلمه أن مُناظرتي إياك مُناظرةُ من يطلب الحقَّ، وليست مُناظرةَ مُغالبٍ.

(١) في «الشريعة» (١٤٣) قال وهب: دعِ المراءَ والجدال عن أمرك، فإنك لا تعجز أحد رجلين:
ـ رجلٌ هو أعلم منك، فكيف تُماري وتُجادل من هو أعلم منك؟!
ـ ورجلٌ أنت أعلم منه، فكيف تُماري وتُجادل من أنت أعلم منه، ولا يطيعك؟! فاقطع ذلك عنك.
ـ وفي «الإبانة الكبرى» (٣٨٥) عن مصعب بن سعد رحمه الله قال: لا تجالس مفتونًا فإنه لن يُخطئك منه إحدى اثنتين: إما أن يفتنك فتتابعه، وإما أن يؤذيك قبل أن تُفارقه.
ـ وفيه (٦٨١) قال سُفيان: قيل لعبد الله بن حسن: ما لك لا تُماري إذا جلست؟
فقال: ما تصنع بأمرٍ إن بالغتَ فيه أَثِمتَ، وإن قَصَّرت فيه خُصِمتَ.
ـ قال ابن بطة رحمه الله في «الإبانة الصُّغرى» (٣٣١): إياك والمراءَ والجدالَ في الدين؛ فإن ذلك يورثُ الغِلَّ، ويُخرِجُ صاحِبَه ـ وإن كان سُنيًّا ـ إلى البدعةِ؛ لأن أوَّلَ ما يَدخُلُ على السُّنيِّ مِن النقصِ في دينِه إذا خاصمَ المُبتدع:
أ ـ مُجالستُه للمبتدع، ومُناظرتُه إيَّاه.
ب ـ ثم لا تأمنُ أنْ يُدخِلَ عليه مِن دقيقِ الكلامِ وخبيثِ القولِ ما يفتنُه.
ج ـ أو لا يفتِنُه؛ فيحتاجُ أن يَتكلَّفَ له مِن رأيه ما يرُدُّ عليه قولَه ما ليس له أصلٌ في التأويلِ، ولا بيانٌ في التنزيلِ، ولا أثرٌ مِن أخبارِ الرسول ﷺ. اهـ.

• ثم ألزم نفسَه الإنصاف له في مُناظرته؛ وذلك أنه واجبٌ عليه أن يُحبَّ صواب مُناظِره، ويكره خطأه، كما يُحبُّ ذلك لنفسه؛ لأن من صفة العالم المؤمن أن يُحبَّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه.

• ويُعلمه أيضًا: إن كان مُرادُك في مُناظرتي أن أُخطئ الحقَّ، وتكون أنت المُصيب، ويكون أنا مُرادي أن تُخطئ الحقَّ، وأكون أنا المُصيبَ؛ فإن هذا حرامٌ علينا فعلُه؛ لأن هذا خُلُقٌ لا يرضاه الله مِنَّا، وواجبٌ علينا أن نتوبَ مِن هذا.

**٥٩ ـ فإن قال:** فكيف نَتناظَر؟

**قيل له:** مُناصحةً.

**فإن قال:** فكيف المُناصحةُ؟

**أقول له:**

لما كانت مسألةٌ فيما بيننا؛ أقول أنا: إنها حلالٌ.

وتقول أنت: إنها حرامٌ.

فحُكمنا جميعًا أن نتكلَّم فيها كلام من يطلب السَّلامة، مُرادي أن ينكشف لي على لسانك الحقُّ، فأصيرَ إلى قولك، أو ينكشفَ لك على لساني الحقّ، فتصيرَ إلى قولي مما يوافق الكتاب والسُّنة والإجماع.

فإن كان هذا مُرادَنا؛ رجوت أن نَحمَدَ عواقب هذه المناظرة، ونوفَّقَ للصواب، ولا يكون للشيطان فيما نحن فيه نصيبٌ[(١)].

---

(١) قال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة الكبرى» **(٧٢٣)**: فإن قال قائل: فهذا النهي والتحذير عن الجدل في الأهواء، والمُمَاراة لأهل البدع قد فهمناه، ونرجو أن تكون لنا فيه عِظة ومنفعة.

فما نصنع بالجدلِ والحِجَاج فيما يعرض من مسائل الأحكام في الفقه، فإنا نرى الفقهاء وأهل العلم يتناظرون على ذلك كثيرًا في الجوامع والمساجد، =

= ولهم بذلك حلقٌ ومجالس؟

فإني أقول له: هذا لست أمنعُكَ منه؛ ولكني أذكر لك الأصل الذي بنى المسلمون أمرهم عليه في هذا المعنى، كيف أَسَّسوه ووضعوه، فمن كان ذلك الأصل أصله، وهو قصده ومُعَوَّله، فالحِجاج والمُناظرة له مباحة، وهو مأجور، ثم أنت أمين الله على نفسك، فهو المُطَّلع على سرِّك.

فاعلم ـ رحمك الله ـ أن أصل الدين: النصيحة، وليس المسلمون إلى شيءٍ من وجوه النصيحة أفقرُ ولا أحوجُ ولا هي لبعضهم على بعضٍ أفرض ولا ألزم من النصيحة في تعليم العلم الذي هو قوام الدين، وبه أُدِّيت الفرائض إلى رب العالمين.

فالذي يلزم المسلمين في مجالسهم ومُناظراتهم في أبواب الفقه والأحكام:

أ ـ تصحيح النية بالنصيحة.

ب ـ واستعمال الإنصاف والعدل.

ج ـ ومراد الحق الذي به قامت السموات والأرض.

فمن النصيحة: أن تكون تُحبُّ صواب مناظِرك، ويسوؤك خَطَؤه، كما تحبُّ الصواب من نفسِك، ويسوؤك الخطأ منها. فإنك إن لم تكن هكذا كنت غاشًّا لأخيك، ولجماعة المسلمين، وكنت مُحبًّا أن يُخطأ في دين الله، وأن يكذبَ عليه، ولا يُصاب الحقُّ في الدين ولا يُصدَّق. فإذا كانت نِيَّتُك أن يسُرَّك صواب مناظِرك، ويسوءك خطؤه، فأصاب وأخطأت لم يسؤك الصواب، ولم تدفع ما أنت تُحبُّه، بل سرَّك ذلك، وتتلقَّاه بالقبول والسرور، والشُّكر لله عز وجل حين وفَّق صاحبك لما كنت تُحبُّ أن تسمعه منه.

فإن أخطأ ساءك ذاك، وجعلت همَّتك التلطّف لتُزيله عنه؛ لأنك رجلٌ من أهل العلم، يلزمك النصيحة للمسلمين بقول الحقِّ، فإن كان عندك بذلته، وأحببت قبوله، وإن كان عند غيرك قبلته، ومن دلَّك عليه شكرت له. فإذا كان هذا أصلك، وهذه دعواك، فأين تذهبُ عما أنت له طالبٌ، وعلى جمعه حريصٌ، ولكنك والله ـ يا أخي ـ تأبى الحق، وتنكره إذا سبقك مُناظرك إليه، وتحتالُ لإفساد صوابه، وتصويب خطئك، وتغتاله، وتُلقي عليه التغاليط، وتظهر التشنيع، ولا سيما إن كان في عينك وعند أهل مجلسك أنه أقلّ عِلمًا منك، فذاك الذي تجحدُ صوابَه، وتُكذِّب حَقَّه. ولعل الأنفة تحملك إذا هو =

**٦٠ ـ ومن صفة هذا العالم العاقل إذا عارضه في مجلس العلم والمناظرة بعضُ من يعلم أنه يُريد مناظرتَه للجدل، والمراء والمغالبة:**
لم تسَعه مُناظرتُه؛ لأنه قد علمَ أنه إنما يريد أن يدفع قوله، وينصُرَ

= احتجَّ عليك بشيءٍ خالف قولك، فقال لك: قال رسول الله ﷺ. قلتَ: لم يقله رسول الله، فجحدت الحق الذي تعلمه، ورددت السُّنة. فإن كان مما لا يُمكنك إنكاره أدخلت على قول رسول الله ﷺ عِلَّة تُغيِّر بها معناه، وصرفت الحديث إلى غير وجهه.

فإرادتك أن يُخَطَّأ صاحبك: خطأٌ منك.

واغتمامك بصوابه: غشٌّ فيك، وسوء نيَّةٍ في المسلمين.

فاعلم ـ يا أخي ـ أن من كَرِه الصواب من غيره، ونصر الخطأ من نفسه؛ لم يؤمن عليه أن يَسلُبَه الله ما علّمه، ويُنسيه ما ذكّره، بل يخاف عليه أن يَسلُبَه الله إيمانه؛ لأن الحق رسولٌ من الله إليك افترض عليك طاعته، فمن سمع الحقَّ فأنكره بعد علمه له؛ فهو من المُتكبِّرين على الله، ومن نصر الخطأ؛ فهو من حزب الشيطان.

فإن قلتَ أنت الصواب، وأنكره خصمُك، وردَّه عليك؛ كان ذلك أعظم لأنفتك، وأشد لغيظك وحَنَقِك وتشنيعك وإذاعتك، وكل ذلك مُخالفٌ للعلم، ولا موافق للحقِّ...

قال حسن الزعفراني: سمعت الشافعي يحلف وهو يقول: ما ناظرت أحدًا قطّ إلّا على النصيحة، وما ناظرت أحدًا فأحببت أن يُخطئ.

... والذي يظهر من أهل وقتنا أنهم يُناظرون مغالبةً لا مُناظرة، ومُكايدةً لا مُناصحةً، ولربما ظهر من أفعالهم ما قد كَثُرَ وانتشر في كثير من البلدان... ولقد رأيت المُناظرين في قديم الزمان وحديثه فما رأيتُ ولا حُدِّثتُ، ولا بلغني أن مُختلفين تناظرا في شيءٍ ففلجت حُجَّة أحدهما وظهر صوابه، وأخطأ الآخر وظهر خطؤه، فرجع المُخطئ عن خطئه، ولا صبَا إلى صواب صاحبه، ولا افترقا إلَّا على الاختلاف والمُباينة، وكل واحدٍ منهما مُتمسِّكٌ بما كان عليه، ولرُبما علم أنه على الخطأ، فاجتهد في نُصرته. وهذه أخلاق كلها تُخالف الكتاب والسُّنة، وما كان عليه السلف الصالح من علماء الأُمَّة...

مذهبه، ولو أتاه بكلِّ حُجَّة مثلها يجب أن يقبلها لم يَقبل ذلك، ونَصرَ قولَه.

ومَن كان هذا مُرادَه لم تُؤمن فتنتُه، ولم تُحمَد عواقبُه. [١٦/أ]

**ويقال لمن مُراده في المُناظرة المُغالبةُ والجدل:**

أخبرني إذا كنت أنا حِجازيًّا، وأنت عِراقيًّا، وبيننا مسألةٌ على مذهبي، أقول أنا: إنها حلالٌ، وعلى مذهبك إنها حرامٌ، فسألتني المناظرةَ لك عليها، وليس مرادُك في مناظرتك الرجوع عن قولك، والحقُّ عندك أن أقول فيها قولك، وكان عندي أنا أن أقولَ، وليس مُرادي في مُناظرتي الرجوع عما هو عندي، وإنما مُرادي أن أردَّ قولك، ومُرادك أن تردَّ قولي، فلا وجه لمناظرتنا، فالأحسنُ بنا السُّكوتُ على ما تعرف مِن قولك، وما أعرف مِن قولي، وهو أسلمُ لنا، وأقربُ إلى الحقِّ الذي ينبغي أن نستعمله.

**فإن قال:** وكيف ذلك؟

**قيل:**

لأنك تُريد أن أُخطئَ الحقَّ، وأنت على الباطل، ولا أُوفَّقَ للصواب، ثم تُسَرُّ بذلك، وتبتهج به، ويكون مُرادي فيك كذلك، فإذا كنا كذلك، فنحن قوم سوء، لم نوفَّق للرَّشاد، وكان العلمُ علينا حُجَّةً، وكان الجاهل أعْذرَ منا.

قال محمد بن الحسين:

وأعظم من هذا كلِّه أن رُبما احتجَّ أحدهما بسُنَّةٍ عن رسول الله ﷺ على خَصمه، فيردُّها عليه بغير تمييز، كل ذلك يخشى أن تنكسرَ حُجَّتُه، حتى إنه لعلَّه أن يقول لسُنَّة عن رسول الله ﷺ ثابتة، فيقول: هذا باطل، وهذا لا أقول به، [١٦/ب] فيرُدُّ سُنة رسول الله ﷺ برأيه بغير تمييز.

ومنهم من يحتجّ في مسألةٍ بقول صحابي، فيردُّ عليه خصمه ذلك،

ولا يلتفتُ إلى ما يحتجُّ عليه، كل ذلك نُصرةً منه لقوله، لا يُبالي أن يَرُدَّ السُّننَ والآثار[(١)].

قال محمد بن الحسين:

**٦١ ـ من صفة الجاهل:**

الجدلُ، والمِراءُ، والمُغالبةُ، ونعوذ بالله ممن هذا مرادُه.

- **ومن صفة العالم العاقل:**

المُناصحةُ في مناظرته، وطلب الفائدة لنفسه ولغيره.

كثَّر الله في العلماء مثلَ هذا، ونفعَه بالعلم، وزيَّنه بالحِلم.

## ذِكرُ أخلاق هذا العالم ومعاشرته لمن عاشر مِن سائر الخلق، كيف يجري؟

قال محمد بن الحسين:

**٦٢** ـ من كانت صفاته في علمه ما تقدَّم ذِكرُنا له من أخلاقه ـ والله أعلم ـ:

- أن يأمنَ شرَّه من خالطه، ويأمُلَ خيرَه من صاحبه.
- لا يؤاخِذُ بالعثرات، ولا يُشيع الذنوب من غيره.
- ولا يقطع بالبلاغات، ولا يُفشي سرَّ من عاداه.

---

(١) أطال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الكلام عن أقسام المناظرات والمجادلات في أبواب العقائد والفقهيات، وبيَّن ما يجوز منها وما لا يجوز، وضوابط كل قسم في كتابه «الشريعة» (١٤٤).

وكذلك لابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإبانة الكبرى» (٧٠٥) كلامٌ وتقسيمٌ حسنٌ في هذا الباب.

• لم ينتصر منه بغير حقٍّ، ويعفو ويصفح عنه.

• ذليلٌ للحقِّ، عزيزٌ عن الباطل.

• كاظِمٌ للغيظ عمَّن آذاه، شديدُ البُغض لمن عَصى مولاه.

• يُجيبُ السَّفيه: بالصمت عنه، والعالم: بالقبول منه. [١٧/أ]

• لا مُداهنٌ، ولا مُشاحنٌ، ولا مُراءٍ، ولا مُختالٌ، ولا حسودٌ، ولا حَقودٌ، ولا سفيهٌ، ولا جافٍ، ولا فَظٌّ، ولا غليظٌ، ولا طعَّانٌ، ولا لعَّانٌ، ولا مُغتابٌ، ولا سبَّابٌ.

• يخالط من الإخوان من عاونه على طاعة ربِّه، ونهاه عمَّا يكره مولاه، ويخالق بالجميل مَن لا يأمن شرَّه اتقاء[١] على دينه.

• سليمُ القلب للعباد من الغلِّ والحسد.

• يغلُبُ على قلبه حُسنُ الظنِّ بالمؤمنين في كل ما أمكن فيه العُذر[٢].

• لا يحبُّ زوال النِّعم عن أحدٍ من العباد.

• يُداري جهلَ من عامله برفقه.

• إذا تعجَّب من جهلِ غيره ذكرَ أن جهلَه أكثرُ فيما بينه وبين ربه عَزَّ وَجَلَّ.

• لا يُتوقع له بائقةٌ، ولا يخاف منه غائلةٌ[٣].

• الناسُ منه في راحةٍ، ونَفسُه منه في جهدٍ.

---

(١) في المطبوع: (إبقاء).

(٢) في «الزهد» لهناد بن السري (٢/ ٥٧٩) قال أبو قلابة: إذا بلغك عن أخيك شيء تجد عليه فيه، فاطلب له العذر جهدك، فإن أعياك؛ فقل: لعلَّ عذره أمر لم يبلغه علمي.

(٣) تقدم معناها برقم (١).

## ذِكرأخلاق هذا العالم وأوصافِه فيما بينه وبين ربِّه عَزَّوَجَلَّ

قال محمد بن الحسين:

جميع ما تقدَّم ذكرنا له مما ينبغي للعالم أن يستعمل من الأخلاق الشريفة، كلها تجري له بتوفيق من مولاه الكريم، ومن جرى له التوفيق بما ذكرنا كان استعماله للأخلاق الشريفة فيما بينه وبين ربه عَزَّوَجَلَّ، أعظم شأنًا مما ذكرت مما قد أوصله [١٧/ب] مولاه الكريم إلى قلبه، يمتعه بها شرفًا له بما خصَّه به من علمه، إذ جعله وارثَ علم الأنبياء، وقرَّةً لعيون الأولياء، وطبيبًا لقلوب أهل الجفاء.

**٦٣ ـ فمن صفته:**

- أن يكون لله شاكرًا، وله ذاكرًا.
- دائمُ الذكرِ بحلاوة حُبِّ المذكور، منعَّمٌ قلبه بمُناجاة الرحمٰن.
- يعدُّ نفسه مع شدَّة اجتهاده خاطئًا مُذنبًا، ومع الدَّأبِ على حسن العمل مُقصِّرًا.
- لجأَ إلى الله عَزَّوَجَلَّ فقوَّى ظهره، ووثق بالله فلم يخف غيره.
- مستغنٍ بالله عن كلِّ شيءٍ، ومُفتقِرٌ إلى الله في كل شيء.
- أُنسُه بالله وحده، ووحشته ممن يشغله عن ربِّه.
- إن ازدادَ عِلمًا، خاف توكيد الحُجَّة.
- مُشفقٌ على ما مضى من صالحِ عمله أن لا يُقبلَ منه.
- همُّه في تلاوة كلام الله: الفَهم عن مولاه.
- وفي سُننِ الرسول ﷺ: الفقه، لئلا يُضيِّع ما أُمر به.
- متأدِّبٌ بالقرآن والسُّنة.

• لا يُنافسُ أهل الدنيا في عزِّها، ولا يجزعُ من ذُلِّها.

• يمشي على الأرض هونًا بالسَّكينة والوقار، ومُشتغلٌ قلبه بالفهم والاعتبار.

• إن فرغَ قلبه عن ذكر الله؛ فمُصيبةٌ عنده عظيمة.

• وإن أطاع الله عَزَّوَجَلَّ بغير حضورِ فَهمٍ؛ فخُسرانٌ عنده مُبينٌ.

• يذكر الله مع الذَّاكرين، ويَعتبر بلسان الغافلين.

• عالمٌ بداءِ نفسه، ومُتَّهِمٌ لها في كلِّ حالٍ.

• اتسعَ في العلوم، [١٨/أ] فتراكبت على قلبه الهموم، فاستحيى من الحي القيوم.

• وشُغلُه بالله في جميع سعيه مُتصلٌ، وعن غيره مُنفصلٌ»[(١)].

---

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «فضل علم السلف على علم الخلف» (ص٨٨): من علامات أهل العلم النافع: أنهم لا يرون لأنفسهم حالًا ولا مَقامًا، ويكرهون بقلوبهم التزكية والمدح ولا يتكبَّرون على أحدٍ...

وأهل العلم النافع: كلما ازدادوا في هذا العلم ازدادوا تواضعًا لله وخشية وانكسارًا وذُلًّا.

قال بعض السلف: ينبغي للعالم أن يضع التراب على رأسه تواضعًا لربه.

فإنه كلما ازداد عِلمًا بربه ومعرفة به؛ ازداد منه خشيةً ومحبَّةً، وازداد له ذُلًّا وانكسارًا.

ومن علامات العلم النافع: أنه يدل صاحبه على الهرب من الدنيا، وأعظمها: الرئاسة والشُّهرَةُ والمدح. فالتباعد عن ذلك والاجتهاد في مُجانبته من علامات العلم النافع، فإذا وقع شيءٌ من ذلك من غير قصدٍ واختيارٍ كان صاحبُه في خوفٍ شديد من عاقبته، بحيث أنه يخشى أن يكون مَكرًا واستدراجًا، كما كان الإمام أحمد يخاف ذلك على نفسه عند اشتهارِ اسمه وبعد صيته.

ومن علامات العلم النافع: أن صاحبه لا يدَّعي العلم، ولا يفخرُ به على =

**٦٤ ـ فإن قال قائل:**

فهل لهذا النعت الذي نعتَّ به العلماء، ووصفتهم به أصل في القرآن أو السُّنة، أو أثر عمن تقدم؟

**قيل له:** نعم، وسنذكر منه ما يدل على ما قلنا إن شاء الله.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء].

أفلا ترى ـ رحمك الله ـ كيف وصف العلماء بالبُكاء والخشية والطاعة والتذلُّل فيما بينه وبينهم؟

**٦٥ ـ أخبرنا** أبو بكر، أنبا الفِريابي، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا أبو أسامة، عن مِسعَر، قال: سمعت عبد الأعلى التيمي يقول: من أُوتي من العلم ما لا يُبكيه، فخليقٌ أن لا يكون أُوتي علمًا ينفعه؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ نعت العلماء، وقرأ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ إلى قوله: ﴿يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء](١).

---

= أحدٍ، ولا ينسبُ غيره إلى الجهلِ إلَّا من خالف السُّنة وأهلها، فإنه يتكلمُ فيه غضبًا لله لا غضبًا لنفسه، ولا قصدًا لرفعتها على أحدٍ. اهـ.

(١) وفي «فضائل القرآن» لأبي عُبيد (١٤٧) عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى، أنه قرأ سورة مريم حتى انتهى إلى السجدة: ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾﴾، فسجد بها، فلما رفع رأسه، قال: هذه السجدة قد سجدناها، فأين البُكاء؟!

ـ قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الذل والانكسار للعزيز الجبار» (١/٢٩٦): فالعلم النافع هو ما باشر القلوب فأوجب لها: السكينة، والخشية، والإخبات لله، والتواضع، والانكسار له، وإذا لم يباشر القلب ذلك من العلم، وإنما كان على اللسان؛ فهو حُجَّة الله على ابن آدم، يقوم على صاحبه وغيره، كما قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إن أقوامًا يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم؛ ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع. خرَّجه مسلم.

وقال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العلم علمان: علم باللسان، وعلم بالقلب، فعلم =

= القلب: هو العلم النافع، وعلم اللسان: هو حُجَّة الله على ابن آدم.
وروي عن الحسن مرسلًا عن النبي ﷺ. ورُوي عنه عن جابر رضي الله عنه مرفوعًا. وعنه عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا، ولا يصح وصله.

فأخبر النبي ﷺ أن العلم عند أهل الكتابين من قبلنا موجود بأيديهم، ولا ينتفعون بشيءٍ منه لما فقدوا المقصود منه، وهو وصوله إلى قلوبهم، حتى يجدوا حلاوة الإيمان به ومنفعته بحصول الخشية والإنابة لقلوبهم، وإنما هو على ألسنتهم تقوم به الحُجَّة عليهم.

ولهذا المعنى وصف الله تعالى في كتابه العلماء بالخشية كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾ [الزمر: ٩].

ووصف العلماء من أهل الكتاب قبلنا بالخشوع؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء].

فقوله تبارك وتعالى في وصف هؤلاء الذين أوتوا العلم: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾، مدحٌ لمن أوجب له سماع كتاب الله الخشوع في قلبه.

وقال تعالى: ﴿...فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الزمر]، ولين القلوب: هو زوال قسوتها بحدوث الخشوع فيها والرِّقة.

وقد وبخَّ الله من لا يخشع قلبه لسماع كلامه وتدبره، قال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: ما كان بين إسلامنا وبين أن عُوتبنا بهذه الآية إلَّا أربع سنين.

خرَّجه مسلم، وخرجه غيره وزاد فيه: فجعل المسلمون يعاتب بعضهم بعضًا. =

٦٦ ـ أخبرنا أبو بكر، حدثني عمر بن أيوب السَّقَطي، ثنا أبو همام، ثنا جعفر بن عون، ثنا أبو عُمَيس، عن عون بن عبد الله، قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: منهومان[1] لا يشبعان: صاحب العلم، وصاحبُ الدنيا، ولا يستويان. [١٨/ب]

أمَّا صاحبُ العلم؛ فيزداد رضًا لله، وأمَّا صاحب الدنيا؛ فيزداد في الطغيان.

قال: ثم قرأ عبد الله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، ثم قرأ للآخر: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق][2].

---

= وخرَّج ابن ماجه من حديث ابن الزبير رضي الله عنه قال: لم يكن بين إسلامهم وبين أن نزلت هذه الآية يعاتبهم الله بها إلَّا أربع سنين...

وقد كان النبي ﷺ يستعيذ بالله من قلب لا يخشع، كما في صحيح مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلبٍ لا يخشع، ومن نفسٍ لا تشبع، ومن دعوة لا يُستجابُ لها**».

وقد روي نحوه عن النبي ﷺ من وجوه متعدِّدة.

ويروى عن كعب الأحبار قال: مكتوب في الإنجيل: يا عيسى، قلبٌ لا يخشع، عمله لا ينفع، وصوته لا يُسمع، ودعاؤه لا يُرفع.

قال أسد بن موسى في كتاب «الورع»: حدثنا مبارك بن فضالة، قال: كان الحسن رحمه الله يقول: إن المؤمنين لما جاءتهم هذه الدعوة من الله صدَّقوا بها، وأفضى يقينها إلى قلوبهم خشعت لذلك قلوبهم وأبدانهم وأبصارهم، كنت والله إذا رأيتهم رأيت قومًا كأنهم رأي عين، فوالله ما كانوا بأهل جدل ولا باطل، ولا اطمأنوا إلَّا إلى كتاب الله، ولا أظهروا ما ليس في قلوبهم، ولكن جاءهم عن الله أمرٌ فصدَّقوا به، فنعتهم الله تعالى في القرآن أحسن نعت فقال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]... إلخ.

(١) في هامش المخطوط: (وهو منهومان الجذ: مولع به).

(٢) في «مسند الدارمي» (٣٤٣) عن الحسن، قال: منهومان لا يشبعان: منهومٌ في =

٦٧ ـ أخبرنا أبو بكر ثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، ثنا قَطَن بن نُسَير، ثنا جعفر بن سُليمان، عن مطر الورَّاق، في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، قال: بلغنا أن الحكمة: خشية الله، والعلم به.

= العلم لا يشبع منه، ومنهوم في الدنيا لا يشبع منها، فمن تكن الآخرة همَّه، وبثَّه، وسَدَمَه، يكفي الله ضيعتَه، ويجعلُ غناه في قلبه، ومن تكن الدنيا همه، وبثَّه، وسدمه، يُفشي الله عليه ضيعته، ويجعل فقره بين عينيه، ثم لا يصبح إلا فقيرًا، ولا يُمسي إلَّا فقيرًا.

قلت: طالب العلم لا يشبع من طلبه للعلم، ولهذا فهو يطلبه إلى الممات.

ـ قال نعيم بن حماد رَحِمَهُ اللَّهُ: سمعت عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ يقول ـ وقد عابه قومٌ في كثرة طلبه للحديث، فقالوا له: إلى متى تسمع؟! ـ قال: إلى الممات.

ـ وقال الحسين بن منصور الجصَّاص: قلت لأحمد بن حنبل: إلى متى يكتب الرجل الحديث؟ قال: إلى الموت.

ـ وقال عبد الله بن محمد البغوي: سمعت أحمد بن حنبل يقول: إنما أطلب العلم إلى أن أدخل القبر.

ـ وقال محمد بن إسماعيل الصائغ: كنت أصوغ مع أبي ببغداد، فمرَّ بنا أحمد بن حنبل وهو يَعْدو، ونعلاه في يده، فأخذ أبي بمجامع ثوبه، فقال: يا أبا عبد الله، ألا تستحي؟! إلى متى تَعْدو مع هؤلاء؟! قال: إلى الموت.

ـ وقال عبد الله بن بشر الطالقاني: أرجو أن يأتيني أمرُ ربي والمحبرة بين يديَّ، ولم يفارقني القلمُ والمحبرة.

ـ وقال حميد بن محمد بن يزيد البصري: جاء ابن بسطام الحافظ يسألني عن الحديث، فقلت له: ما أشدَّ حرصك على الحديث!

فقال: أو ما أحبُّ أن أكون في قطار آل رسول الله ﷺ.

ـ وقيل لبعض العلماء: متى يَحسُنُ بالمرء أن يتعلم؟

قال: ما حَسُنت به الحياة.

ـ وسئل الحسن عن الرجل له ثمانون سنة: أيحسُنُ أن يطلب العلم؟ قال: إن كان يَحسُنُ به أن يعيش.

[هذه الآثار من كتاب «مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٠٣)].

٦٨ ـ **أخبرنا** أبو بكر، ثنا أبو عبد الله أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي، ثنا محمد بن بكار، ثنا عبيدة بن حُميد، عن الأعمش، عن عبد الله بن مُرَّة، قال: قال مسروق:

بحسبِ امرئ من العلم: أن يَخشى الله.

وبحسبِ امرئ من الجهل: أن يُعجبَ بَعلمِه.

٦٩ ـ **أخبرنا** أبو بكر، ثنا أبو العباس أحمد بن زَنْجُوَيْه، ثنا هشام بن عمار الدمشقي، ثنا الوليد بن مسلم، حدثنا الأوزاعي، قال: سمعت يحيى بن أبي كثير يقول: العالم: من خشي الله، وخشية الله: الورع.

٧٠ ـ **أخبرنا** أبو بكر ثنا أبو الحسن علي بن إسحاق بن زاطيا، ثنا عبيد الله بن عمر القواريري، ثنا حماد بن زيد، قال: سمعت أيوب يقول: ينبغي للعالم أن يَضع الرَّماد [١٩/أ] على رأسه تواضعًا لله عَزَّوَجَلَّ.

٧١ ـ **أخبرنا** أبو بكر، ثنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلي، أنبا أبو بكر بن زَنْجُوَيْه، ثنا نُعيم بن حماد، عن ابن المبارك، عن زائدة، عن هشام، عن الحسن، قال: إن كان الرجل إذا طلب العلم لم يلبث أن يُرى ذلك في تخشُّعِه، وبصره، ولسانه، ويده، وزهده.

وإن كان الرجلُ ليَطلُبُ البابَ من أبواب العلم فيعملُ به، فيكون خيرًا له من الدنيا وما فيها لو كانت له، فجعلها في الآخرة[1].

---

(١) في «جامع بيان العلم» (٨٩٩) قال ابن وهب، سمعت مالكًا يقول: إن حقًّا على من طلب العلم أن يكون له وقارٌ وسكينةٌ وخشية، وأن يكون متبعًا لآثار من مضى قبله.

ـ وفي «شعب الإيمان» (١٦٧١) عن الأعمش قال: كان الرجل يسمع الحديث الواحد فنعرفه في علمه وأدبه.

ـ وفي «تاريخ جرجان» (٩٩٧) قال وكيع بن الجراح: قالت أم سفيان الثوري =

٧٢ ـ أخبرنا أبو بكر، ثنا أبو سعيد المفضَّل بن محمد اليماني في المسجد الحرام، ثنا محمد بن ميمون الخياط، قال: سمعت ابن عيينة يقول: إذا كان نهاري نهارَ سفيهٍ، وليلي ليلَ جاهل؛ فما أصنع بالعلم الذي كتبت؟![(١)].

٧٣ ـ أخبرنا أبو بكر، ثنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحُلواني، ثنا يحيى بن عبد الحميد الحِماني، ثنا أبو بدر، ثنا زياد بن خَيثمة، عن أبي إسحاق، عن عاصم بن ضمرة، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ألا أنبئكم بالفقيه حق الفقيه؟ من لم يُقنِّطِ الناسَ من رحمة الله، ولم يُرخِّص لهم في معاصي الله، ولم يُؤمِنهم مَكر الله، ولم يترك القرآن إلى غيره، ولا خيرَ في عبادة ليس فيها تفقُّه، ولا خيرَ في تَفقُّهٍ ليس فيه تَفهُّم، ولا خير في قراءة ليس فيها تدبُّر[(٢)].

---

= لسفيان: يا بُنيَّ، اطلب العلم وأنا أكفيك من مغزلي.

يا بُني، إذا كتبت عشرة أحاديث فانظر هل ترى في نفسك زيادة في مشيتك، وحلمك، ووقارك، فإن لم تر ذلك فاعلم أنه لا يضرك ولا ينفعك.

(١) ولهذا أنكر الإمام أحمد رحمه الله على صاحب حديث نام حتى أصبح ولم يصلِّ من الليل.

ـ ففي «طبقات الحنابلة» (٢/ ١٠٢) عن عبد الصمد بن سليمان بن أبي مطر، قال: بتُّ عند أحمد بن حنبل، فوضع لي صاخرة ماء، قال: فلما أصبحت وجدني لم أستعمله، فقال: صاحب حديث لا يكون له ورد بالليل؟! قال: قلت: مسافر. قال: وإن كنت مسافرًا، حجَّ مسروق فما نام إلا ساجدًا.

ـ وفي «الجامع لأخلاق الرواي» (١٨١) عن أبي عصمة عاصم بن عاصم البيهقي، قال: بتُّ ليلة عند أحمد بن حنبل، فجاء بالماء فوضعه، فلما أصبح نظر إلى الماء، فإذا هو كما كان، فقال: سبحان الله! رجلٌ يطلب العلم لا يكون له ورد بالليل؟!

ـ وفيه (٢١٧) عن إسماعيل بن يحيى، قال: رآني سفيان وأنا أمازح رجلًا من بني شيبة عند البيت، فتبسمت، فالتفت إليَّ، فقال: تبتسم في هذا الموضع! إن كان الرجل ليسمع الحديث الواحد فنرى عليه ثلاثة أيام سمته وهديه.

(٢) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١٥١٠) مرفوعًا من حديث علي رضي الله عنه. =

٧٤ ـ أخبرنا أبو بكر، ثنا أبو بكر [١٩/ب] عبد الله بن عبد الحميد الواسطي، ثنا هارون الحمال، ثنا سيار، ثنا جعفر بن سليمان، ثنا مطر الورَّاق، قال: سألت الحسن عن مسألةٍ، فقال فيها.

فقلت: يا أبا سعيد، يأبى عليك الفقهاء ويخالفونك.

فقال: ثكِلتك أُمُّك مطر، وهل رأيت فقيهًا قطُّ؟!

وهل تدري ما الفقيه؟!

الفقيه: الوَرِعُ، الزاهدُ[١]، الذي لا يَسخرُ بمن أسفلُ منه، ولا يَهمِزُ مَن فوقه، ولا يأخذ على علمٍ علَّمه الله حُطامًا.

٧٥ ـ أخبرنا أبو بكر، ثنا عمر بن أيوب السَّقَطي، ثنا الحسن بن عرفة، ثنا المبارك بن سعيد، عن أخيه سفيان الثوري، عن عمران المِنقَري، قال: قلت للحسن يومًا في شيء قاله: يا أبا سعيد، ليس هكذا يقول الفقهاء.

قال: فقال: ويحك! وَرأيت أنت فقيهًا قطُّ؟!

إنما الفقيه: الزاهدُ في الدنيا، الراغبُ في الآخرة، البصيرُ في أمر دينه، المداوم على عبادة الله عَزَّ وَجَلَّ[٢].

---

= وقال: لا يأتي هذا الحديث مرفوعًا إلَّا من هذا الوجه، وأكثرهم يوقفونه على علي رَضِّيَلِّلَهُ عَنْهُ. اهـ.

ورواه موقوفًا الدارمي في «المسند» (٣٠٥)، وأبو داود في «الزهد» (١٠٤)، وإسناده ضعيف. وسيأتي قريبًا زيادة بيان فيمن هو الفقيه؟

(١) زاد ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ في «إبطال الحيل» (١٤): .. الزاهد، المقيم على سنة رسول الله ﷺ الذي لا ... فذكره.

(٢) وفي «إبطال الحيل» (١٨) قال وهب بن مُنبِّه: الفقيه: العفيف، المتمسك بالسُّنة، أولئك أتباع الأنبياء في كل زمان.

ـ وفي «مسند الدارمي» (٣٠٣) عن سعد بن إبراهيم، قال: قيل له: من أفقه أهل المدينة؟ قال: أتقاهم لربه عَجَلَّ. =

= - وفيه (٣٠٤) عن مجاهد، قال: إنما الفقيه من يخاف الله تعالى.

- وفيه (٢٦٤) عن مالك بن مغول، قال: قال رجل للشعبي: أفتني أيها العالم.

فقال: العالم من يخاف الله عز وجل.

- وفي «إبطال الحيل» (١٩) قال سفيان الثوري: الفقيه: الذي يعد البلاء نعمة، والرخاء مصيبة، وأفقه منه من لم يجترئ على الله عز وجل في شيء لعلمه به.

- وفيه (٢٠) عن الحارث بن يعقوب، قال: يقال: إن الفقيه كل الفقه: من فقه في القرآن، وعرف مكيدة الشيطان.

- وفيه (٢٤) عن الفضيل بن عياض، قال: إنما الفقيه: الذي أنطقته الخشية، وأسكتته الخشية، إن قال قال بالكتاب والسُّنة، وإن سكت سكت بالكتاب والسُّنة، وإن اشتبه عليه شيء وقف عنده ورده إلى عالمه.

- وفيه (٣٨) عن محمد بن الحجاج، قال: كتب أحمد بن حنبل رضي الله عنه عني كلامًا. قال العباس القنطري: وأملاه علينا. قال: لا ينبغي للرجل أن ينصب نفسه - يعني: للفتوى - حتى يكون فيه خمس خصال؛ أما أولاها: فأن يكون له نية، فإن لم تكن فيه نيةٌ لم يكن عليه نورٌ، ولا على كلامه نورٌ.

وأما الثانية: فيكون له حلمٌ ووقارٌ وسكينة.

وأما الثالثة: فيكون قويًّا على ما هو فيه وعلى معرفته.

وأما الرابعة: فالكفاية، وإلَّا مضغه الناس. وأما الخامسة: فمعرفة الناس.

قلت: ورواها ابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (٣/ ١٠٨)، وقال: فأقول أنا والله العالم: لو أن رجلًا عاقلًا أنعم نظرَه وميَّزَ فِكره وسما بطرفه، واستقصى بجَهده طالبًا خِصلة واحدةً في أحدٍ من فقهاءِ وقتنا، والمتصدرين للفتوى أخشى أن لا يجدها، والله نسالُ صفحًا جميلًا وعفوًا كثيرًا. اهـ.

وفي «جامع بيان العلم» (١٥١٦) عن أبي قلابة، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهًا كثيرة، ولن تفقه كل الفقه حتى تمقت الناس في ذات الله، ثم تقبل على نفسك فتكون لها أشد مقتًا منك للناس.

وانظر «جامع بيان العلم» (١/ ٨٠٧) (باب من يستحق أن يُسمى فقيهًا أو عالمًا حقيقة لا مجازًا، ومن يجوز له الفتيا عند العلماء).

٧٦ ـ أخبرنا أبو بكر، ثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، ثنا الحسين بن الحسن المروزي، ثنا عبد الله بن المبارك، ثنا الحكم بن موسى بن أبي كردم ـ كذا قال، وقال غيره: ابن أبي درم ـ، عن وهب بن مُنبِّه، قال: بلغ ابن عباس رضي الله عنهما عن مجلسٍ كان في ناحية بني سَهم، يجلس فيه ناسٌ من قريشٍ يختصمون، فترتفع أصواتهم، فقال ابن عباس: انطلق بنا [٢٠/أ] إليهم، فانطلقنا حتى وقفنا، فقال ابن عباس: أخبرهم عن كلام الفتى الذي كلَّمَ به أيوب في حاله.

قال وهبٌ: فقلت: قال الفتى: يا أيوب، أما كان في عظمة الله، وذكر الموت ما يُكِلُّ لسانك، ويقطع قلبَك، ويَكسرُ حُجَّتَك؟

يا أيوب، أما علمتَ أن لله عبادًا أسكتَتهم خشية الله من غير عِيٍّ، ولا بَكَم، وإنهم هم النُبلاء، الفُصحاء، الطُّلقاء، الألبَّاء، العالمون بالله وآياته، ولكنهم إذا ذَكروا عظمة الله انقطعت قلوبهم، وكلّت ألسنتهم، وطاشت عقولهم وأحلامهم فَرَقًا من الله، وهيبةً له، وإذا استفاقوا من ذلك استبقوا إلى الله عز وجل بالأعمال الزاكية، لا يستكثرون لله الكثير، ولا يرضون له بالقليل، يعُدُّون أنفسهم مع الظالمين الخاطئين، وإنهم لأنزَاهٌ أبرارٌ، ومع المضيِّعين المفرِّطين، وإنهم لأكياسٌ أقوياء، ناحلون، ذائبون، يراهم الجاهل فيقول: مرضى، وليسوا بمرضى.

وقد خُولطوا، وقد خالط القومَ أمرٌ عظيم.

قال محمد بن الحسين:

هذه الأخبار تدلُّ على ما وصفنا به العلماء والفقهاء.

**٧٧ ـ فإن قال قائل:**

ولِمَ داخل العلماء هذا الإشفاق الشديد، وخافوا من علمهم هذا الخوف كلَّه؟

**قيل له:**

علموا أن الله عز وجل يُسائِلُهم عن عِلمهم: ما عملوا فيه؟ فجعلوا مُساءَلة الله نُصبَ أعينهم، فألزموا أنفسهم [٢٠/ب] شدَّةَ الحذر، وأخذوا بالثقة في كل أمرهم.

**إن قال قائل:** فإن العلماء ليُسألون عن علمهم: ما عملوا فيه؟

**قيل:** نعم.

**فإن قال:**

فاذكر مِن ذلك ما إذا سمعه العالم انتبه من رَقدته، وأخذ نفسَه بلزوم أخلاق من ذكرتَ، والله موفِّقُنا.

**قيل:** نعم، إن شاء الله تعالى.



## ٤ ـ بَاب

# ذِكر سؤالِ الله لأهل العلم عن عِلمهم ماذا عملوا فيه؟(١)

٧٨ ـ أخبرنا أبو بكر، ثنا أبو سعيد المفضل بن محمد اليماني في المسجد الحرام، ثنا صامت بن معاذ، ثنا عبد المجيد، عن سفيان الثوري، عن صفوان بن سُليم، عن عدي بن عدي، عن الصُّنَابحي، عن معاذ بن جبل ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزولُ قدما عبدٍ يوم القيامةِ حتى يُسألَ عن أربعِ خصالٍ: عن عُمرِه فيما أفناه؟ وعن شبابه فيما أَبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقه؟ وعن عِلمه ماذا عمل فيه؟»(٢).

٧٩ ـ أخبرنا أبو بكر، أنبا أبو بكر جعفر بن محمد الفِريابي، ثنا أبو بكر، وعثمان، ابنا أبي شَيبة، قالا: ثنا الأسود بن عامر، عن أبي بكر بن عياش، عن الأعمش، عن سعيد بن عبد الله بن جُريج، عن أبي بَرزة ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: [٢١/أ] «لا

---

(١) عقد ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١/ ٦٧٩) (باب ما جاء في مساءلة الله ﷻ العلماء يوم القيامة عما عملوا فيما علموا).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (١١١).
ورواه الدارمي في «مسنده» (٥٥٦) موقوفًا على معاذ بن جبل ﵁.
ورجَّح الدارقطني في «علله» (٩٦٧) الوقف.
ورواه الترمذي (٢٤١٧) من طريق الأعمش، عن سعيد بن عبد الله بن جريج، عن أبي برزة الأسلمي ﵁، عن النبي ﷺ.
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

**تزولُ قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن أربعٍ: عن عُمرِه فيما أفناه؟ وعن علمه ماذا عمل فيه؟ . .»**، وذكر باقي الحديث[1].

٨٠ ـ **أخبرنا** أبو بكر، ثنا الفريابي، ثنا محمد بن بكار العيشي[2]، ثنا أبو محصن حُصين بن نُمير، عن حسين بن قيس، عن عطاء، عن ابن عُمر، عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنهم أجمعين، عن النبي ﷺ قال: «**لا تزولُ قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يُسأل عن خمس خصالٍ: عن عُمرك فيما أفنيته؟ وعن شبابك فيما أبليت؟ وعن مالك من أين اكتسبت؟ وفيما أنفقت؟ وما عملت فيما علمت؟**»[3].

٨١ ـ **أخبرنا** أبو بكر، ثنا الفريابي، ثنا قتيبة بن سعيد، وشيبان بن فروخ، قالا: ثنا أبو عَوانة، ثنا هلال بن أبي حُميد، ـ وقال قُتيبة: عن هلال الوزان ـ، عن عبد الله بن عُكَيم، قال: سمعت ابن مسعود رضي الله عنه في هذا المسجد ـ يعني: مسجدَ الكوفة ـ بدأ باليمين قبل أن يُحدِّثنا، فقال: والله ما منكم من أحدٍ إلَّا وإن ربه سَيخلو به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر، ثم يقول: يا ابن آدم، ما غرَّك بي ـ ثلاث مرار ـ ماذا أجبت المرسلين؟ كيف عَمِلتَ فيما عَلِمت؟[4].

---

(١) رواه الترمذي (٢٤١٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وسعيد بن عبد الله بن جريج هو بصري، وهو مولى أبي برزة، وأبو برزة اسمه: نضلة بن عبيد. اهـ.

(٢) في الأصل: (القيسي)، وما أثبته من تهذيب الكمال (٢٤/ ٥٣٠).

(٣) رواه الترمذي (٤٢١٢)، والبزار في «مسنده» (١٤٣٥)، قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن مسعود، عن النبي ﷺ إلَّا من حديث الحسين بن قيس، وحسين بن قيس يضعف في الحديث من قبل حفظه، وفي الباب عن أبي برزة، وأبي سعيد. اهـ.

(٤) رواه عبد الله بن أحمد في «السُّنة» (٤٥٩)، وصحَّحه ابن تيمية في «بيان تلبيس الجهمية» (٧/ ٤٥).

٨٢ ـ **أخبرنا** أبو بكر، ثنا يحيى بن محمد بن صاعد، ثنا الحسين بن الحسن المروزي، ثنا عبد الله بن المبارك، أنبأ سليمان بن المغيرة، عن حميد بن هلال، قال: قال أبو الدرداء رضي الله عنه: إن أخوفَ ما أخاف [٢١/ب] إذا وَقَفتُ على الحِساب أن يُقال: قد عَلِمتَ، فماذا عملتَ فيما علِمتَ؟[١].

٨٣ ـ **أخبرنا** أبو بكر، ثنا أبو بكر بن أبي داود، ثنا بُندار محمد بن بشَّار[٢]، ثنا عبد الرحمٰن بن مهدي، عن معاوية بن صالح، عن حبيب بن عُبيد، قال: قال أبو الدرداء رضي الله عنه: لا تكونُ عالمًا حتى تكون بالعلم عامِلًا.

٨٤ ـ **أخبرنا** أبو بكر، ثنا جعفر بن محمد الصَّنْدلي، ثنا حسن الزعفراني، ثنا محمد بن يزيد بن خُنيس، ثنا عَمرو بن قيس، حدثني عطاء، قال: كان فتى يختلف إلى أُمِّ المؤمنين، فيسألها وتحدِّثه، فجاء ذات يوم يسألها، فقالت: يا بُني، هل عمِلت بما سمعت؟

فقال: لا ـ والله ـ يا أُمَّه.

قالت: يا بُني، ففيمَ تستكثر من حُججِ الله علينا وعليك؟![٣].

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد والرقائق» (٣٩).
رواه الخطيب في «اقتضاء العلم العمل» (٥٥) ولفظه: قال: إني لست أخشى أن يقال لي: يا عويمر ماذا علمت؟ ولكني أخشى أن يقال: يا عُويمر، ماذا عملت فيما علمت؟
وفيه (٥١) عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: إن العبد يوم القيامة لمسؤول: ما عملت بما علمت؟

(٢) في الأصل: (يسار)، والصواب ما أثبته.

(٣) وفي «جامع بيان العلم» (١٢٣٢) قال مكحول: كان رجل يسأل أبا الدرداء رضي الله عنه، فقال له كل ما تسأل عنه تعمل به؟ قال: لا. قال: فما تصنع بزيادة حُجَّة الله عليك.
ـ وفيه أيضًا (١١٣٤) عن أيوب السختياني قال: قال لي أبو قلابة: إذا أحدث الله لك علمًا، فأحدث له عبادة، ولا يكن همك أن تُحدِّث به. =

**٨٥ ـ أخبرنا** أبو بكر، ثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، ثنا زهير بن محمد، ثنا عبيد الله بن موسى، عن جعفر بن بُرْقان(١)، عن ميمون بن مهران: أن أبا الدرداء رضي الله عنه، قال: ويلٌ للذي لا يعلم مرَّةً، وويلٌ للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات(٢).

قال محمد بن الحسين:

من تَدبَّر هذا؛ أشفقَ من عِلمِه أن يكون عليه لا له، فإذا أشفقَ، مقتَ نفسه، وبان بأخلاقه الشريفة الذي تقدَّم ذِكرُنا لها، والله الموفِّق لنا ولكم إلى الرشاد من القول والعمل(٣). [٢٢/أ]

= ـ وفي «الحلم والعلم» لابن أبي إياس (٣٩) عن خيثمة بن عبد الرحمٰن، قال: أكثروا على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه السؤال، فقال للحارث بن قيس: لم تراهم يسألون؟ قال: ليتعلموا ثم يتركوا.

فقال: صدقت، والله الذي لا إلٰه غيره.

(١) في الأصل: (برهان)، والصواب ما أثبته كما في «تهذيب الكمال» (٥/ ١١).

(٢) وفي «جامع بيان العلم» (١١٦٤) روينا عن فضيل بن عياض، وأسد بن الفرات قالا: بلغنا أن الفسقة من العلماء ومن حملة القرآن يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان.

وقال فضيل بن عياض: لأن من عَلِمَ ليس كمن لم يعلم.

(٣) ومما يذكر في هذا الباب من رواية المصنف رحمه الله:

ـ قال أبو نُعيم في «الحلية» (٢/ ٣٧٤): حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين الآجري، قال: ثنا عبد الله بن محمد العطشي، قال: ثنا إبراهيم بن الجنيد، قال: ثنا عيسى بن عبد العزيز العمي، قال: ثنا أبي، قال: ثنا مالك بن دينار، قال: قرأت في بعض الحكمة: لا خير لك، أو لا عليك، أن تعلمنَّ ما لم تعلم، ولا تعمل بما قد علمت، فإن مثل ذلك مثل رجلٍ قد احتطب حطبًا فحزمه حزمة، فذهب ليحملها فعجز عنها، فضمَّ إليها أُخرى.

ـ وقال أبو نعيم (٢/ ٣٧٥): حدثنا أبو بكر الآجري، قال: ثنا عبد الله بن محمد، قال: ثنا إبراهيم بن الجنيد، قال: ثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا =





## كتاب أخلاق العالم الجاهل المُفتَتِن بعلمه

قال محمد بن الحسين:

٨٦ ـ قد تقدَّمت الأخبارُ عن النبي ﷺ، وعن صحابته ﷺ، وعن أئمة المسلمين رحمهم الله، بصفة علماء في الظاهر لم ينفعهم الله بالعلم، ممن طلبه للفخر، والرياء، والجدل، والمراء، وتأكَّل به الأغنياء، وجالس به الملوك، وأبناء الملوك، لينال به الدنيا، فهو ينسُبُ نفسَه إلى أنه من العلماء، وأخلاقُه أخلاق أهل الجهل والجفاء، فتنةٌ لكلِّ مفتونٍ، لسانُه لسانُ العلماء، وعملُه عمَلُ السُّفهاء.

**فإن قال قائل:** فاذكرِ الأخبارَ في ذلك، لِنحذر ما حذَّرتنا.

**قيل:** نعم، إن شاء الله.

٨٧ ـ **أخبرنا** أبو بكر، ثنا أبو بكر قاسم بن زكريا المُطَرِّز، ثنا أبو الحسن رجاء بن محمد، ثنا محمد بن عباد الهُنائي، ثنا علي بن المبارك، عن أيوب السِّختياني، عن خالد بن

= المبارك بن سعيد، عن عباد بن كثير، عن مالك بن دينار، قال: كنت مولعًا بالكتب أنظر فيها، فدخلت ديرًا من الديارات ليالي الحجاج، فأخرجوا كتابًا من كتبهم، فنظرت فيه، فإذا فيه: يا ابن آدم، لم تطلب علم ما لم تعلم، وأنت لا تعمل بما تعلم؟!

دُرَيك، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن تَعلَّمَ عِلمًا لغير الله، أو أراد به غير الله؛ فليتبوَّأ مقعده من النار**»(١).

٨٨ ـ **أخبرنا** أبو بكر، أنبا أبو محمد عبد الله بن صالح، ثنا الحسن بن علي الحُلواني، ثنا سعيد بن أبي [٢٢/ب] مريم، ثنا يحيى بن أيوب، عن ابن جُريج، عن أبي الزبير، عن جابر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تتعلموا العلمَ لتُباهوا به العلماء، ولا لِتُماروا به السَّفهاء، ولا لتَجترُّوا**(٢) **به المجالس، فمَن فعل ذلك؛ فالنارَ النارَ**»(٣).

٨٩ ـ **أخبرنا** أبو بكر، أنبا أبو عبيد علي بن الحسين بن حرب القاضي، ثنا أبو الأشعث أحمد بن المِقدام، ثنا أحمد بن خالد، ثنا إسحاق بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله، حدثني ابن كعب بن مالك، عن أبيه رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من طلب العلم ليُجاري به العلماء، ويُماري به السُّفهاء، ويَصرِفَ به وجوه الناس إليه؛ أدخله الله النار**»(٤).

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٥٥)، والنسائي في «السُّنن الكبرى» (٥٨٧٩). وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه من حديث أيوب إلَّا من هذا الوجه. اهـ.

(٢) في «فرض العلم» (٤٠): (لتخيّروا).

(٣) رواه ابن ماجه (٢٥٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٧)، وابن عدي في «الكامل» (٩/ ٥٨)، في ترجمة يحيى بن أيوب، وقال: هذ الحديث غير محفوظ، معروف بيحيى بن أيوب، يتفرد به عن ابن جريج بهذا الإسناد. اهـ.
ـ وفي «جامع بيان العلم» (١١٣٢) عن مكحول قال: من طلب الحديث ليُماري به السفهاء، أو ليباهي به العلماء، أو ليصرف به وجوه الناس فهو في النار.
وانظر: «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٦٤٨) (باب ذم الفاجر من العلماء، وذم طلب العلم للمباهاة والدنيا).

(٤) رواه الترمذي (٢٦٥٤)، وقال: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلَّا من هذا =

٩٠ ـ **أخبرنا** أبو بكر، ثنا أبو جعفر محمد(١) بن محمد البَرْذعي في المسجد الحرام، ثنا يونس بن عبد الأعلى، ثنا عبد الله بن وهب، أخبرني يحيى بن سلام، عن عثمان بن مقسم، عن سعيد المَقبُري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أشدّ الناس عذابًا يوم القيامة: عالمٌ لم ينفَعْه علمه**»(٢).

٩١ ـ **أخبرنا** أبو بكر، ثنا أبو بكر بن أبي داود، ثنا أيوب بن محمد الوزان، ثنا غسان ـ يعني: ابن عبيد ـ، عن عثمان البُرِّي(٣)، عن سعيد بن أبي سعيد المَقبُري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أشدَّ الناس عذابًا** [٢٣/أ] **يوم القيامة: عالمٌ لم ينفعه علمه**»(٤).

٩٢ ـ **أخبرنا** أبو بكر، ثنا أحمد بن يحيى الُحلواني، ثنا عبد الله بن الصادق، ثنا يوسف بن عطية، عن ثابت، عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يكون في آخرِ الزمان عُبَّادٌ جُهَّالٌ، وعُلماءُ فُسَّاق**»(٥).

---

= الوجه، وإسحاق بن يحيى بن طلحة ليس بذاك القوي عندهم، تُكلِّم فيه من قبل حفظه. اهـ.

وسيأتي تعليق ابن رجب رحمه الله على هذا الحديث تحت الحديث رقم (٩٩).

(١) في الأصل: (أحمد)، والصواب ما أثبته كما في ترجمته في «لسان الميزان» (٦٧٤٤).

(٢) رواه الطبراني في «الصغير» (٥٠٧)، وفي إسناده: عثمان بن مقسم البري، قال ابن معين: ليس بشيءٍ، هو من المعروفين بالكذب ووضع الحديث. وانظر: «الميزان» (٣/ ٥٧).

(٣) في الأصل: (البزي)، وما أثبته هو الصواب كما في ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٢٧٦).

(٤) انظر الحديث السابق.

(٥) رواه الحاكم (٤/ ٣١٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٣١)، وقال: هذا حديث غريب من حديث ثابت لم نكتبه إلَّا من حديث يوسف بن عطية، وهو قاضٍ بصري في حديثه نكارة. اهـ. =

٩٣ ـ **أخبرنا** أبو بكر، ثنا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي، ثنا محمد بن الحسن البَلخي، ثنا عبد الله بن المبارك، أنبا سفيان الثوري، قال: يقال: تعوَّذوا بالله من فتنةِ العابد الجاهل، وفتنةِ العالم الفاجر، فإن فتنتهما فتنةٌ لكلِّ مفتون(١).

٩٤ ـ **أخبرنا** أبو بكر، ثنا الفريابي، ثنا هشام بن عمار، ثنا صدقة بن خالد، ثنا عبد الرحمٰن بن يزيد بن جابر، قال: سمعت مكحولًا يقول: إنه لا يأتي على الناس ما يوعدون حتى يكون عالمهم فيهم أنتن من جيفةِ حمار.

٩٥ ـ **أخبرنا** أبو بكر ثنا الفريابي، ثنا العباس بن الوليد بن مزيد، حدثني أبي، قال: سمعت الأوزاعي يقول: كان يقال: ويلٌ للمُتفقِّهين لغير العبادة، والمُستحلِّين الحُرمات بالشُّبهات.

---

= وقال البخاري ـ في يوسف ـ: منكر الحديث. «الميزان» (٤/ ٤٦٩).

(١) في «مسند الدارمي» (٣٠٨) عن هرم بن حيان أنه قال: إياكم والعالم الفاسق. فبلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب إليه ـ وأشفق منها ـ: ما العالم الفاسق؟!
قال: فكتب إليه هرم: يا أمير المؤمنين، والله ما أردت به إلَّا الخير: يكون إمام يتكلم بالعلم، ويعمل بالفسق، فيُشبِّه على الناس فيضلوا.
ـ وفي «المدخل للسُّنن الكبرى» (٥٤٣) قال الشعبي: اتقوا الفاجر من العلماء، والجاهل من المتعبدين، فإنهما آفة لكل مفتون.
ـ وفي «مسند الدارمي» (٣٧٥) عن سفيان قال: كان يقال: العلماء ثلاثة:
ـ عالم بالله يخشى الله ليس بعالم بأمر الله.
ـ وعالم بالله عالم بأمر الله يخشى الله، فذاك العالم الكامل.
ـ وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله لا يخشى الله، فذلك العالم الفاجر.
ـ قال ابن القيم رحمه الله في «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٦٠): الناس إنما يقتدون بعلمائهم وعُبَّادهم، فإذا كان العلماء فجرة، والعباد جهلة؛ عمت المصيبة بهما، وعظمت الفتنة على الخاصة والعامة. اهـ.
ـ وقال في «إغاثة اللهفان» (١/ ٤٠٩): ومن تأمَّل الفساد الداخل على الأُمة وجده من هذين المفتونين. اهـ.

٩٦ ـ أخبرنا أبو بكر، ثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، ثنا الحسين بن الحسن المروزي، أنبا عبد الله بن المبارك، أنبا بكار بن عبد الله، قال: سمعت وهب بن مُنبِّهٍ، يقول: قال الله عَزَّوَجَلَّ فيما يُعاتب به [٢٣/ب] أحبار بني إسرائيل: تفقَّهون لغيرِ الدين، وتعلَّمون لغير العمل، وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة، تَلبَسون جلودَ الضأن، وتُخفون أنفُسَ الذئاب، وتتقون القذى من شرابكم، وتبتلعون أمثال الجبال من الحرامِ، وتُثقِلون الدين على الناس أمثال الجبال، تُطيلون الصلاة، وتُبيِّضون الثياب، تنتقصون مال اليتيم والأرملة، فبعزَّتي حلفتُ لأضربنكم بفتنةٍ يَضِلُّ فيها رأيُ ذي الرأي، وحكمةُ الحكيم.

٩٧ ـ أخبرنا أبو بكر، ثنا جعفر بن محمد الصندلي، ثنا الفضل بن زياد، قال: سمعت الفُضيل(١) يقول: إنما هما عالمان:

- عالمُ دنيا.
- وعالمُ آخرة.

فعالم الدنيا: علمه منشور.

وعالم الآخرة: علمه مستور.

فاتبعوا عالم الآخرة، واحذروا عالم الدنيا، لا يصدنَّكم بسُكره(٢).

ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤].

(١) كذا في الأصل، والفضل بن زياد يروي عن الفضيل بواسطة كما في الأثر رقم (١٠٣)، فهو يروي بواسطة عبد الصمد بن يزيد، وهو الظاهر، فالأثر رواه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٩٢) من طريق أبي يعلى، ثنا عبد الصمد، قال: سمعت الفضيل.. فذكره.

(٢) كذا في الأصل، وفي «الحلية» (٨/ ٩٢).

(الأحبار): العُلماء. و(الرُّهبان): العُبَّاد.

ثم قال: لكَثيرٌ من علمائكم زيُّه أشبه بزيِّ كسرى وقيصر منه بمحمدٍ ﷺ، إن النبي ﷺ لم يضع لَبِنةً على لَبِنةٍ، ولا قَصبةً على قَصبةٍ؛ ولكن رُفِعَ له علم فشمَّرَ إليه[1].

وقال الفُضيل: العلماءُ كثير، والحُكماء قليل، وإنما يُراد من العلم الحكمة، فمن أُوتي الحكمة [٢٤/أ] فقد أُوتي خيرًا كثيرًا.

**٩٨ ـ قال محمد بن الحسين:**

قولُ الفُضيل ـ والله أعلم ـ: (الفقهاء كثير، والحكماء قليل)،

(١) وفي «مسند الدارمي» (٣٧٣) قال أبو مسلم الخولاني،: العلماء ثلاثة:
فرجلٌ عاشَ في علمه، وعاشَ معه الناس فيه.
ورجلٌ عاش في علمه، ولم يعش معه فيه أحد.
ورجلٌ عاش الناس في علمه، وكان وبالًا عليه.
ـ قال ابن رجب رحمه الله كما في «مجموع رسائله» (٢/ ٤٨١): علماء السلف كانوا يُقسِّمون العلماء ثلاثة أقسام: قسمٌ يعرفون الله ويخشونه، ويحبونه، ويتوكَّلون عليه، وهم: العلماء بالله.
وقسمٌ يعرفون أمر الله، ونهيه، وحلاله، وحرامه، وهم: العلماء بأمر الله.
وقسمٌ يجمعون بين الأمرين، وهم أشرف العلماء، حيث جمعوا بين العلم بالله، والعلم بأمر الله.. وكذلك أكثر السلف رضي الله عنهم يجمعون بين العلم بالله الذي يقتضي خشيته ومحبته والتبتل إليه، وبين العلم بالله الذي يقتضي معرفة الحلال والحرام والفتاوى والأحكام.
ومنهم من كان متوسِّعًا في كلا العِلمين كالحسن البصري، وسفيان، وأحمد بن حنبل.
ومنهم من كان نصيبه من أحدهما أوفر من نصيبه من الآخر.
وأما المتأخِّرون فقل فيهم من جمع بين العِلمين الذي كان عليه علماء المسلمين، وسلك كلا الطريقين. والله الموفق للخير والمعين عليه بمنِّه وكرمه. اهـ.
وسيأتي زيادة بيان في هذا التقسيم تحت الأثر رقم (١٣٨).

يعني: قليلٌ من العلماء من صانَ علمه عن الدنيا، وطلب به الآخرة، والكثير من العلماء قد افتتَنَ بعلمه.

و(الحُكماء قليل)، كأنه يقول: ما أعزَّ مَن طلبَ بعلمه الآخرة![(١)].

(١) قال ابن رجب رحمه الله كما في «مجموع رسائله» (١/ ٥٣) بعد أن ذكر أثر الفضيل رحمه الله: وهكذا كان حال العلماء الربانيين كالحسن وسفيان وأحمد، اجتزؤوا من الدنيا باليسير إلى أن خرجوا منها، ولم يخلفوا سوى العلم، مع أن بعضهم كان يلبس لباسًا حسنًا، ويأكل أكلًا متوسِّطًا بعيدًا من التقشُّف، كالحسن البصري؛ فإنه كان يأكل اللحم كل يوم، كان يشتري بنصف درهم لحمًا فيطبخه مرقة طيبة فيأكل منه هو وعياله، ويطعم كل من دخل عليه، وكان يلبس الثياب الحسنة، وهو مع هذا أزهد الناس في الدنيا، وما زاحم على شيءٍ منها قطُّ. وكان الناس إذا دخلوا عليه خرجوا من عنده، ولا يعدون الدنيا شيئًا، وما رأوا أشدَّ احتقارًا لأهل الدنيا منه. وكانوا يدخلون عليه في مرضه يعودونه وليس في بيته إلَّا سرير مرمول هو عليه، وليس في بيته قليل ولا كثير، حتى قال ابن عون: إنما استبدَّ الحسن الناس بالزهد في الدنيا، فأما العلم فقد شورك فيه..

وكان سفيان الثوري أشد تقشُّفًا في ملبسه من الحسن، حتى كان من يراه ولا يعرفه يظنه من السُّؤَّال، وكان مع شدِّة ورعه إذا وجد الحلال أكل منه طيبًا، وإن لم يجد حلالًا استفَّ الرمل، ورُبما بقي ثلاثًا لا يطعم شيئًا مع عرض الناس عليه الأموال الكثيرة.

وكان إذا شبع من الحلال يزيد في عمله ويقول: أطعم الزنجي وكدَّه.

وكان أزهد الناس في الدنيا في زمانه حتى كان يتعرَّى بمجلسه عن الدنيا، ولم تكن السلاطين والملوك والأغنياء أذلَّ منهم في مجلسه، ولا الفقراء والمساكين أعزَّ منهم فى مجلسه.

وكان الخوف قد غلب عليه، فلما مرض مرض الموت حُمِلَ ماؤه إلى طبيب، فقال: ليس لهذا دواء، هذا قد فتت الحزن والخوف كبده.

ويقال: لم يكن في زمانه من هو أخوف لله منه، ولا من هيبة الله في صدره أعظم منه.

ولما مات قال بعض العلماء: معشر أهل الهوى، كلوا الدنيا بالدين، فقد =

= مات سفيان. يعني: ما بقي بعده أحدٌ يُستحيا منه.

وأما الإمام أحمد فكان أشدّ منهما تقشُّفًا في عيشه، وأكثر صبرًا على خشونة العيش للقلَّة، وكانت معيشته من حوانيت له ورثها من أبيه، ويأخذ أجرها في الشهر دون عشرين درهمًا، ومات لم يخلف إلَّا قطعًا في خرقة له، كان وزنها دون نصف درهم، وترك عليه دينًا قضي عنه من أجرة حوانيته مع كثرة ما كان يَرِدُ عليه من الخلفاء من الجوائز والصِّلات.

وكان يحيى بن أبي كثير من العلماء الربانيين المتوسِّعين في العلم، وكان يقال: إنه لم يبق على وجه الأرض مثله، وكان حسن الثياب، حسن الهيئة، فلما مات خلَّف ثلاثين درهما كفنوه بها رحمه الله.

وكان محمد بن أسلم الطوسي من العلماء الربانيين الزُّهَّاد، فمات ولم يُخلِّف سوى كسائه ولبده، فوضعوهما على نعشه، وإناء للوضوء تصدقوا به. فكان النساء على السطوح يقلن في جنازته: هذا العالم الذي خرج من الدنيا، وهذا ميراثه الذي على جنازته، ليس مثل علمائنا هؤلاء عبيد بطونهم، يجلس أحدهم للعلم ستتين أو ثلاثًا فيشتري الضياع، ويستفيد المال.

وقال العباس بن مرثد: سمعت أصحابنا يقولون: صار إلى الأوزاعي أكثر من سبعين ألف دينار من السلطان من بني أُمَّية، فلما مات خلَّف سبعة دنانير بقيت بقية، وما كان له أرض ولا دار. قال العباس: نظرنا فإذا هو أخرجها في سبيل الله والفقراء.

وقد وصف الله سبحانه في كتابه العلماء بأوصاف منها: الخشية، والخشوع، والبُكاء، كما سبق ذكره. ومنها: احتقار الدنيا، والتزهيد فيها كما قال تعالى في قصَّة قارون: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [القصص].

وقيل للإمام أحمد: إن ابن المبارك قيل له: كيف يُعرف العالم الصادق؟ فقال: الذي يزهد في الدنيا ويُقبل على أمر الآخرة. فقال أحمد: نعم، هكذا ينبغي أن يكون.

وكان أحمد يُنكر على أهل العلم حبّ الدنيا والحرص على طلبها. =

**٩٩ ـ أخبرنا** أبو بكر، ثنا أبو العباس أحمد بن سهل الأُشناني، ثنا بشر بن الوليد، ثنا فُلَيح بن سليمان، عن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن معمر، عن سعيد بن يسار، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«من تعلَّمَ عِلمًا مما يُبتغى به وجه الله، لا يتعلَّمُه إلَّا ليُصيبَ به عرضًا من الدنيا؛ لم يجد عَرْفَان الجنةِ يوم القيامة»**(١).

---

= واعلم أنه إنما أهلك أهل العلم وأوجب إساءة ظنَّ الجُهال بهم، وتقديم جُهال المتعبدين عليهم ما دخل عليهم من الطمع في الدنيا. اهـ.

(١) رواه أحمد (٨٤٥٧)، وأبو داود (٣٦٦٤)، وابن ماجه (٢٥٢).

وفي إسناده: فليح، ضعفه ابن معين. وروى العقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٤٦٦) هذا الحديث في ترجمته، وقال: الرواية في هذا الباب لينة. اهـ.

ورواه الدارمي في «مسنده» (٢٦٣) عن عبد الله بن عبد الرحمٰن، عن النبي ﷺ مُرسلًا.

ورجَّح الدارقطني في «العلل» (٢٠٨٧) رواية من أرسله.

وقوله: «عرفان الجنة»: أي ريحها الطيبة. «النهاية» (٣/ ٢١٧).

ـ وفي «جامع بيان العلم وفضله» (١١٣٠) عن أبي إدريس الخولاني قال: من يبتغِ العلم، ـ أو قال: الأحاديث ـ لا يبتغيها إلَّا ليُحدِّث بها لم يجد ريح الجنة.

ـ وفي «الجامع لأخلاق الراوي» (٢٦) عن عبد الله بن المبارك، قال: من طلب الحديث وكتب ليُكتب عنه؛ فلا يجد رائحة الجنة.

ـ قال ابن رجب رحمه الله كما في «مجموع رسائله» (١/ ٧٩) وهو يتكلم عن أقسام طلب المال والحرص عليه، فذكر القسم الأول وهو طلبه من الوجوه المحرمة، ثم قال:

القسم الثاني: طلب الشرف والعلو على الناس بالأمور الدينية، كالعلم والعمل والزهد.

فهذا أفحش من الأول وأقبح، وأشدّ فسادًا وخطرًا، فإن العلم والعمل والزهد إنما يطلب بها ما عند الله من الدرجات العلى والنعيم المقيم، ويطلب بها ما عند الله والقرب منه والزلفى لديه.

قال الثوري: إنما فُضِّل العلم؛ لأنه يُتقَّى به الله، وإلَّا كان كسائر الأشياء. =

**١٠٠ ـ أخبرنا** أبو بكر، ثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، ثنا شعيب بن أيوب، ثنا عبد الله بن نُمير، ثنا معاوية النَّصري، عن الضحاك[(١)]، عن الأسود بن يزيد، قال غير شعيب ـ وعلقمة، ولم أرَ شعيبًا ذكر علقمة ـ قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: لو أن أهل العلم صانوا العلم، ووضعوه عند أهله، سادوا به أهل زمانهم؛ ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا لينالوا من دنياهم، فهانوا على

= فإذا طُلِبَ بشيءٍ من هذا عرض الدنيا الفاني فهو أيضًا نوعان:

أحدهما: أن يطلب به المال، فهذا من نوع الحرص على المال وطلبه بالأسباب المحرَّمة.

ـ ثم ذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي في الأصل ـ، وقال: وسبب هذا ـ والله أعلم ـ أن في الدنيا جَنة مُعجلَّة، وهي معرفة الله تعالى ومحبته، والأُنس به، والشوق إلى لقائه، وخشيتُه وطاعته، والعلم النافع يدل على ذلك، فمن دلَّه علمه على دخول هذه الجنة المُعجَّلة في الدنيا دخل الجنة في الآخرة، ومن لم يشُم رائحتَها لم يشُم رائحة الجنة في الآخرة.

ولهذا كان أشدّ الناس عذابًا في الآخرة عالم لم ينفعه الله بعلمه، وهو أشدُّ الناس حسرةً يوم القيامة، حيث كان معه آلةٌ يتوصَّل بها إلى أعلى الدرجات، وأرفع المقامات، فلم يستعملها إلَّا في التوصل إلى أخسِّ الأمور وأدناها وأحقرها، فهو كمن كان معه جواهر نفيسة لها قيمةٌ عظيمة، فباعها ببعرٍ أو شيءٍ مستقذرٍ لا يُنتفعُ به، بل حالُ من يطلب الدنيا بعلمه، أقبح وأقبحُ، وكذلك من يطلبُها بإظهار الزهد فيها، فإن ذلك خداعٌ قبيح جدًّا...

النوع الثاني: من يطلب بالعمل والعلم والزهد: الرياسة على الخلق، والتعاظم عليهم، وأن ينقاد الخلق ويخضعون له ويصرفون وجوههم إليه، وأن يُظهر للناس زيادة علمه على العلماء ليعلو به عليهم ونحو ذلك؛ فهذا موعده النار؛ لأن قصد التكبُّر على الخلق محرمٌ في نفسه، فإذا استعمل فيه آلة الآخرة كان أقبح وأفحش من أن يستعمل فيه آلات الدنيا من المال والسلطان.

وفي «السُّنن» عن النبي ﷺ قال: «**من طلب العلم ليُماري به السفهاء، أو يجاري به العلماء، أو يصرف وجوه الناس إليه أدخله الله النار**». اهـ.

(١) كذا في الأصل، وعند من خرجه: (معاوية النصري، عن نهشل، عن الضحاك).

أهلها، سمعت نبيكم ﷺ يقول: «من جعل الهموم همًّا واحدًا همَّ آخرته؛ كفاه الله همَّ دنياه. [٢٤/ب] ومن تشعَّبَت به همومُ أحوال الدنيا؛ لم يُبالِ الله في أيِّ أوديتها هَلَك»(١).

١٠١ ـ **أخبرنا** أبو بكر، ثنا عمر بن أيوب السَّقَطي، ثنا الحسن بن حماد الكوفي، ثنا أبو أسامة، عن عيسى بن سِنان، قال: سمعت وهب بن مُنبِّهٍ يقول لعطاء الخُراساني: كان العلماء قبلنا استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم، فكانوا لا يلتفتون إلى دنياهم، فكان أهل الدنيا يبذلون لهم دُنياهم، رغبةً في علمهم، فأصبح أهل العلم منا اليومَ يبذلون لأهل الدنيا علمهم، رَغبةً في دُنياهم، فأصبح أهلُ الدنيا قد زَهِدوا في علمهم لما رأوا من سُوء موضعه عندهم، فإياك وأبوابَ السُّلطان، فإن عند أبوابهم فتنًا كمبارِك الإبل، لا تُصيب من دنياهم شيئًا إلَّا أصابوا من دينك مثله(٢).

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٥٦ و٤١٠٦)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٣٠٩) في ترجمة نهشل بن سعيد، ونقل عن إسحاق تكذيبه، وعن يحيى أنه ليس بثقة. وقال العقيلي بعد روايته لهذا الحديث: الرواية فيه لينة. اهـ.

وقال ابن أبي حاتم رحمه الله في «العلل» (١٨٥٩): هذا حديث منكر، ونهشل بن سعيد متروك الحديث. اهـ.

(٢) هذا الأثر في «الحلية» (٤/ ٣٠) من طريق المصنف، وزاد في آخره: (ثم قال: يا عطاء، إن كان يغنيك ما يكفيك فكل عيشك يكفيك، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك؛ فليس شيء يكفيك، إنما بطنك بحرٌ من البحور، ووادٍ من الأودية، لا يسعه إلَّا التراب). اهـ.

ـ قال أبو حازم الزاهد: لقد أتت علينا بُرهة من دهرنا وما عالمٌ يطلبُ أميرًا، وكان الرجل إذا علم اكتفى بالعلم عما سواه، فكانت الأُمراء تغشاهم في منازلهم وتقتبس منهم، فكان في ذلك صلاحٌ للفريقين للوالي والمُولى عليه، فلما رأت الأُمراء أن العلماء قد غشوهم وجالسوهم، وسألوهم ما في أيديهم هانوا عليهم، وتركوا الأخذ عنهم والاقتباس منهم، فكان في ذلك هلاك الفريقين الوالي والمولى عليه. =

ـ ودخل أعرابيٌّ البصرة، فقال: من سيد هذه القرية؟

فقالوا: الحسن [البصري].

قال: فبمَ سادهم؟

قالوا: احتاج الناس إلى علمه، واستغنى هو عن دنياهم.

ـ واجتاز الحسن يومًا ببعض القُراء على أبواب بعض السلاطين، فقال: أقرحتم جباهكم، وفرطحتم نعالكم، وجئتم بالعلم تحملونه على رقابكم إلى أبوابهم، فزهدوا فيكم، أما إنكم لو جلستم في بيوتكم حتى يكونوا هم الذين يرسلون إليكم؛ لكان أعظم لكم في أعينهم، تفرقوا فرَّق الله بين أضلاعكم. اهـ. [نقلًا من «مجموع رسائل ابن رجب» (١/ ٥٧)]

ـ وفي «طبقات الحنابلة» (١/ ٤٤٧) قال سعيد بن يعقوب: كتب إليَّ أحمد [بن حنبل]: (بسم الله الرحمٰن الرحيم): من أحمد بن محمد إلى سعيد بن يعقوب، أما بعد، فإن الدنيا داءٌ، والسلطان داءٌ، والعالم طبيب، فإذا رأيت الطبيب يجر الداء إلى نفسه فاحذره، والسلام عليك.

ـ وفي «التاريخ الكبير» للبخاري (٤/ ٧٠) عن سلمة بن قيس، قال: لقيت أبا ذر رضي الله عنه، فقال: يا [سلمة] ثلاثًا احفظها: لا تجمعنَّ بين الضرائر، ولا تغشَ ذا السُّلطان؛ فإنك لم تغشَ من دنياهم إلَّا أصابوا من دينك أفضل منه، ولا تعمل على الصدقة.

ـ وفي «جامع بيان العلم» (١١٠٤) عن عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن قتادة: أن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إن على أبواب السلطان فتنًا كمبارك الإبل، والذي نفسي بيده لا تصيبوا من دنياهم شيئًا إلَّا أصابوا من دينكم مثله أو قال مثليه.

ـ وفي «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٦/ ٨٩) عن أبي وائل، قال: لما جُمعت لابن زياد البصرة والكوفة، قال: اصحبني إذا انطلقت.

قال: فأتيت علقمة فسألته، فقال: اعلم أنك لا تصيب منهم شيئًا؛ إلَّا أصابوا منك أفضل منه.

ـ وفيه أيضًا (٦/ ٨٩)، عن إبراهيم، عن علقمة، أنه قيل له حين مات عبد الله [بن مسعود رضي الله عنه]: لو قعدت فعلَّمت السُّنة.

قال: أتريدون أن يوطأ عقبي.

=

فقيل له: لو دخلت على الأمير فأمرته بخيرٍ.

فقال: لن أصيب من دنياهم شيئًا إلَّا أصابوا من ديني أفضل منه.

- وفي «جامع معمر» (٢٠٦٤٣) عن عمارة بن عبد الله، عن حذيفة رضي الله عنه، قال: إياكم ومواقف الفتن. قيل: وما مواقف الفتن يا أبا عبد الله؟

قال: أبواب الأُمراء، يدخل أحدكم على الأمير، فيصدِّقه بالكذب، ويقول له ما ليس فيه.

- وفي «الحلية» (٤/ ١٦) عن أبي عاصم النبيل، قال: زعم لي سفيان، قال: جاء ابن لسليمان بن عبد الملك فجلس إلى جنب طاووس، فلم يلتفت إليه، فقيل له: جلس إليك ابن أمير المؤمنين فلم تلتفت إليه!

قال: أردت أن يعلم أن لله عبادًا يزهدون فيما في يديه.

- قال ابن رجب رحمه الله كما في «مجموع رسائله» (١/ ٨٤) وهو يتكلم عن التحذير من طلب الشرف في الدنيا بالعلم والدين: ومن هذا الباب أيضًا: كراهة الدخول على الملوك والدنو منهم، وهو الباب الذي يدخل منه علماء الدنيا إلى نيل الشرف والرياسات فيها.

وخرج الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: **«من سكن البادية جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى أبواب السلاطين افتتن»**.

وخرَّج أحمد، وأبو داود نحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ وفي حديثه: **«وما ازداد أحدٌ من السلطان دنوًّا إلَّا ازداد من الله بُعدًا»**...

ومن أعظم ما يُخشى على من يدخل على الملوك الظلمة: أن يصدِّقهم بكذبهم، ويُعينهم على ظلمهم ولو بالسكوت عن الإنكار عليهم، فإن من يُريد بدخوله عليهم الشرف والرِّياسة - وهو حريص عليهم - لا يقدمُ على الإنكار عليهم؛ بل رُبما حسَّن لهم بعض أفعالهم القبيحة؛ تقرُّبًا إليهم ليحسُن موقعُه عندهم، ويساعدُوه على غرضِه...

وقد كان كثير من السلف ينهون عن الدخول على الملوك لمن أراد أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر أيضًا.

ومـمن نهى عن ذلك: عمر بن عبد العزيز، وابن المبارك، والثوري، وغيرهم من الأئمة.

=

قال محمد بن الحسين:

فإذا كان يُخاف على العلماء في ذلك الزمان أن تفتنَهم، فما ظنُّك به في زماننا هذا؟ الله المستعان، ما أعظم ما قد حلَّ بالعلماء من الفتن، وهم عنه في غفلة!

**١٠٢ ـ أخبرنا** أبو بكر، ثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد العَطَشي، ثنا علي بن حرب الطائي، ثنا سعيد بن عامر، عن هشام صاحب الدَّسْتَوائي، قال: قرأتُ في كتابٍ بلغني

---

= وقال ابن المبارك: ليس الآمر الناهي عندنا من دخل عليهم فأمرهم ونهاهم؛ إنما الآمر الناهي من اعتزلهم.

وسبب هذا: ما يُخشى من فتنة الدخول عليهم؛ فإن النفس قد تُخيل للإنسان إذا كان بعيدًا عنهم أنه يأمرهم وينهاهم ويغلظ عليهم، فإذا شاهدهم قريبًا مالت النفس إليهم؛ لأن محبة الشرف كامنة في النفس، والنفس تُحسِّن له ذلك ومداهنتهم وملاطفتهم، وربما مال إليهم وأحبَّهم، ولا سيما إن لاطفوه وأكرموه وقَبِلَ ذلك منهم، وقد جرى ذلك لابن طاووس مع بعض الأُمراء بحضرة أبيه طاووس فوبَّخه طاووس على فعله ذلك.

وكتب سفيان الثوري إلى عبَّاد بن عبَّاد، وكان في كتابه: إياك والأُمراء أن تدنو منهم، أو تخالطهم في شيء من الأشياء، وإياك أن تُخدع ويُقال لك: لتشفع، وتدرأ عن مظلوم، أو تردَّ مظلمة؛ فإن ذلك خديعة إبليس، وإنما اتخذها فُجَّار القُراء سُلمًا، وما كفيت من المسألة والفُتيا فاغتنم ذلك ولا تُنافسهم، وإياك أن تكون كمن يُحب أن يُعملَ بقوله، أو يُنشر قوله، أو يُسمع قوله، فإذا تُرِكَ ذلك منه عُرِفَ فيه، وإياك وحُبَّ الرئاسة، فإن الرجل يكون حُبّ الرئاسة أحبَّ إليه من الذهب والفضة، وهو بابٌ غامضٌ لا يُبصره إلَّا البصير من العلماء السماسرة، فتفقَّد بقلبٍ، واعمل بنيةٍ، واعلم أنه قد دنا من الناس أمر يشتهي الرجل أن يموت، والسَّلام. اهـ.

وانظر: كتاب «أخلاق حملة القرآن» (٣١) ففيه زيادة بيان مع التنبيه على أن أئمة السُّنة كما أنهم كانوا ينهون عن غشيان مجالس الأُمراء خوفًا من الافتتان بهم، فإنهم قد أجمعوا على النهي عن الخروج عليهم وكانوا يأمرون بالسمع والطاعة لهم في المنشط والمكره والعُسر واليُسر ما لم يأمروا بمعصية.

أنه من كلام عيسى ابن مريم عليه السلام: كيف يكون من أهل العلم من سَخِط رزقه، واحتقَرَ منزلتَه، وقد عَلِمَ أن ذلك [٢٥/أ] من علم الله وقُدرته؟!

وكيف يكون من أهل العلم من اتَّهم الله فيما قضاه، وليس يرضى شيئًا أصابه؟!

كيف يكون من أهل العلم من مَسِيرُه إلى آخرته، وهو مُقبلٌ على دنياه؟!

كيف يكون مَن أهل العلم من دنياه آثر عنده من آخرته، وهو في دنياه أفضلُ رَغبة؟!

وكيف يكون من أهل العلم من يطلبُ الكلام ليُحَدِّث به، ولا يطلُبه ليعمل به؟!

**١٠٣ ـ أخبرنا** أبو بكر، ثنا جعفر بن محمد الصندلي، ثنا الفضل بن زياد، ثنا عبد الصمد بن يزيد، قال: سمعت الفُضيل بن عياض يقول: إن الله عز وجل يُحبُّ العالم المتواضع، ويُبغِضُ العالم الجبَّار، ومن تواضع لله ورَّثه الله الحِكمة.

**١٠٤ ـ أخبرنا** أبو بكر، ثنا أبو بكر عبد الله بن عبد الحميد الواسطي، ثنا زُهير بن محمد، ثنا هُدْبَة، ثنا حَزم، قال: سمعت مالك بن دينار يقول: إنكم في زمانٍ أَشْهَبَ(١)، لا يُبصِر زمانَكم إلَّا البصير.

إنكم في زمانٍ كثير نفخاتُهم، قد انتفخت ألسنتُهم في أفواهِهم، وطلبوا الدنيا بعمل الآخرة، فاحذروهم على أنفسكم، لا يُوقِعوكم في شَبكاتهم.

(١) في «النهاية» (٢/ ٥١٢): يقال: يوم أشهب، وسنة شهباء، وجيش أشهب: أي قوي شديد. وأكثر ما يستعمل في الشدة والكراهة. اهـ.

يا عالمُ، أنت عالمٌ تأكلُ بعلمك؟!

يا عالم، أنت عالمٌ تفخرُ بعلمك؟!

يا عالم، أنت عالمٌ تُكاثرُ بعلمك؟!

يا عالم، أنت عالمٌ تَستطيلُ(١) بعِلمك؟!.

لو كان هذا العلمُ طَلَبته لله لرُئي ذلك فيك وفي عملك.

قال محمد بن الحسين: [٢٥/ب]

**١٠٥ ـ فإن قال قائل:**

فصِف لنا أخلاق هؤلاء العلماء الذين علمهم حُجَّة عليهم، حتى إذا رأينا من يُشارُ إليه بالعلم اعتبرنا ما ظهر من أخلاقهم، فإذا رأينا أخلاقًا لا تَحسُن بأهل العلم اجتنبناهم، وعلمنا أن ما استبطنوه من دناءة الأخلاق أقبحُ مما ظهر، وعلمنا أنه فتنةٌ فاجتنبناهم، لئلا نُفتَتَن كما افتُتِنوا، والله موفِّقنا للرشاد.

**قيل له:**

نعم، سنذكرُ من أخلاقِهم ما إذا سمعها من يُنسَب إلى العلم رجعَ إلى نفسه، فتصفَّحَ أمره، فإن كان فيه خُلقٌ من تلك الأخلاق المكروهة المذمومة استغفر الله، وأسرع الرجعة عنها إلى أخلاقٍ هي أولى بالعلم مما يُقرِّبهم إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وتَجافى عن الأخلاق التي تُباعدهم عن الله.

**١٠٦ ـ فمن صفته في طلبه للعلم:**

• يطلبُ العلم بالسهو والغفلة، وإنما يطلب من العلم ما أسرع إليه هواه.

---

(١) أي: تعلو وتقهر الناس بعلمك. «معجم مقاييس اللغة» (٣/ ٣٢٢).

**فإن قال**: كيف؟

**قيل**: ليس مُرادُه في طلب العلم: أنه فرضٌ عليه ليتعلَّمَ كيف يعبد الله فيما يعبده من أداء فرائضه، واجتناب مَحارمه؟

إنما مُرادُه في طلبه: يكثر التعرُّفُ أنه من طُلَّاب العلم، وليكون عنده، فإذا كان عنده: هَذَّب نفسه.

• وكل علم إذا سمعه أو حفظه شَرف به عند المخلوقين؛ سارَعَ إليه، وخفَّ في طلبه.

• وكلُّ علمٍ وجبَ [٢٦/أ] عليه فيما بينه وبين ربه عَزَّ وَجَلَّ أن يَعلمَه فيعملَ به ثقُل عليه طلبه، فتركه على بصيرةٍ منه، مع شدَّةِ فقره إليه.

• يَثقُلُ عليه أن يفوتَه سماع العلم قد أراده، حتى يُلزِمَ نفسَه بالاجتهاد في سماعه، فإذا سمعه هانَ عليه تركُ العمل به، فلم يُلزِم نفسه ما وجبَ عليه من العمل به كما ألزمها السماع، فهذه غفلةٌ عظيمة.

إن فاته سماعُ شيءٍ من العلم حَزَنه ذلك، وأسِف على فَوته، كلُّ ذلك بغير تمييزٍ منه، وكان أولى به أن يَحزنَ على علمٍ قد سمعه، فوجبت عليه به الحُجَّة فلم يعمل به، ذلك كان أولى به أن يحزن عليه ويتأسَّف.

• يُتفقَّه للرِّياءِ، ويُحاجُّ للمِراء.

• مُناظرتُه في العلم تُكسِبُه المأثم.

• مُرادُه في مُناظرته: أن يُعرَفَ بالبلاغة.

• ومُرادُه: أن يُخطِئ مُناظِرُه.

• إن أصاب مُناظرهُ الحقَّ: ساءه ذلك.

فهو دائبٌ يَسُرُّه ما يَسُرُّ الشيطان، ويكره ما يُحبُّ الرحمٰن.

• يتعجَّب ممن لا يُنصِف في المناظرة، وهو يجور في المُحاجَّة.

• يحتجُّ على خطئه، وهو يعرفه، ولا يُقرُّ به خوفًا أن يُذمَّ على خطئه.

• يُرخِّصُ في الفتوى لمن أحبَّ، ويُشدِّد على من لا هوى له فيه.

• يذمُ بعض الرأي، فإن احتاج إلى الحُكم والفُتيا لمن أحبَّ دلَّه عليه، وعَمِلَ به.

• من تعلَّم منه علمًا، فهِمَّتُه فيه منافعُ الدنيا، [٢٦/ب] فإن عاد عليه خَفَّ عليه تعليمُه، وإن كان ممن لا منفعةَ له فيه للدنيا، وإنما منفعتُه للآخرة؛ ثَقُل عليه.

• يرجو ثوابَ عِلمٍ لم يَعمل به، ولا يخافُ سوءَ عاقبةِ المساءلة عن تخلُّفِ العمل به.

• يرجو ثواب الله على بُغضه من ظنَّ به السُّوءَ من المستورين، ولا يخافُ مقتَ الله على مداهنته للمُهتوكين.

• ينطق بالحكمة؛ فيَظنُّ أنه مِن أهلها، ولا يخاف عظيم الحُجَّة عليه لتركه استعمالهَا.

• إن عَلِمَ ازداد مُباهاة وتصنُّعًا.

• وإن احتاج إلى معرفة عِلمٍ تركه أَنِفًا(١).

• إن كَثُرَ العلماءُ في عصره فذُكِروا بالعلمِ أحبَّ أن يُذكرَ معهم.

• إن سُئِل العلماءُ عن مسألةٍ فلم يُسأل هو، أحبَّ أن يُسأل كما يُسأل غيره، وكان أولى به أن يَحمَدَ ربَّه إذ لم يُسأل، وإذا(٢) كان غيره قد كفاه.

---

(١) أي: استكبارًا.

(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب: (وإذ كان..).

• إن بَلَغه أن أحدًا من العلماء أخطأ، وأصاب هو؛ فَرِحَ بخطأ غيره، وكان حُكمُه أن يسُوءَه ذلك.

• إن ماتَ أحدٌ من العلماءِ سرَّه موتُه ليحتاجَ الناسُ إلى عِلمه.

• إن سُئل عما لا يعلم؛ أَنِفَ أن يقول: (لا أعلم)، حتى يتكلَّفَ ما لا يَسَعُه في الجواب.

• إن عَلِمَ أن غيرَه أنفعُ للمسلمين منه كَرِهَ حياتَه، ولم يُرشدِ الناس إليه.

• إن عَلِمَ أنه قال قولًا فتُوبع عليه، وصارت له به رُتبةٌ عند من جَهِله، ثم عَلِمَ أنه أخطأ أَنِفَ أن يرجِعَ عن خطئِه فيثبُت.

• ينصرُ الخطأ لئلا [٢٧/أ] تسقط رُتبتُه عند المخلوقين.

• يتواضعُ بعِلمه للملوك، وأبناء الدنيا؛ لينالَ حظَّه منهم بتأويل يُقيمه.

• ويتكبَّر على من لا دنيا له من المستورين والفقراء، فيَحرِمُهم علمه بتأويل يُقيمه.

• يَعدُّ نفسَه في العلماء، وأعمالُه أعمالُ السُّفهاء.

• قد فَتَنه حبُّ الدنيا، والثناءُ، والشرفُ، والمنزلةُ عند أهل الدنيا(١).

• يتجمَّلُ بالعلم كما يتجمَّل بالحُلةِ الحسناءُ للدنيا، ولا يُجَمِّل علمَه بالعمل به.

---

(١) في «طبقات الحنابلة» (١/ ٢٧) قال الخلال: أخبرنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، قال: سمعت سفيان [يعني: ابن عيينة] يقول: ما ازداد رجل علمًا فازداد من الدنيا قربًا إلَّا ازداد من الله بُعدًا.

قال محمد بن الحسين:

من تدبَّر هذه الخِصال، فعرَفَ أن فيه بعضَ ما ذكرنا، وجبَ عليه أن يستحيي من الله، وأن يُسرعَ الرجوعَ إلى الحقِّ.

وسأذكر من الآثار بعض ما ذكرتُ؛ ليتأدَّبَ به العالمُ إن شاء الله.

● **فأما قولنا:**

(يتجمَّلُ بالعلم، ولا يُجمِّلُ العلم بالعمل).

١٠٧ ـ **حدثنا** أبو بكر، ثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، حدثنا الحسين بن الحسن المروزي، ثنا ابن المبارك، أنبا حَريز بن عثمان، عن حبيب بن عُبيد، قال: تعلموا العلم، واعْقِلوه، وانتفِعوا به، ولا تُعلِّموه لتُجمَّلوا به، فإنه يوشك إن طال بك العُمر أن تتجمَّل بالعلم كما يتجمَّل الرجلُ بثوبه(١).

١٠٨ ـ **أخبرنا** أبو بكر، ثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، ثنا زهير بن محمد، أنبأ علي بن قادم، ثنا سفيان، عن ليث، قال: قال طاووس: ما تعلَّمتَ [١٧/ب] فتعَلَّم لنفسِك، فإن الأمانةَ والصدق قد ذهبا من الناس(٢).

(١) في «مسند الدارمي» (٣٩٩) عن حبيب بن عُبيد، قال: كان يقال: تعلموا العلم وانتفعوا به، ولا تعلموه لتجمَّلوا به، فإنه يوشك إن طال بكم عُمُرٌ أن يَتجمَّلَ ذو العلم بعلمه، كما يَتجمَّل ذو البِزَّة ببزَّته.

ـ وفي «جامع بيان العلم» (١١٥٧) عن سفيان الثوري، قال: زينوا العلم ولا تزينوا به.

وفي لفظ: زينوا الحديث بأنفسكم ولا تزينوا بالحديث.

وفي لفظ: زين علمك بنفسك، ولا تزين نفسك بعلمك.

(٢) في «السير» (٨/ ٦٦) قال ابن وهب: سمعت مالكًا يقول: ما تعلمت العلم إلَّا لنفسي، وما تعلمت ليحتاج الناس إليَّ، وكذلك كان الناس.

ـ وفي «جامع ابن عبد الحكم» (٨٤) قال مالك: ولقد أدركت رجالًا يقولون: ما طلبنا هذا العلم حين طلبنا لنتحمل أمور الناس، وما طلبناه إلَّا لأنفسنا.

=

قال محمد بن الحسين:

**• وأما من كان يكره أن يُفتي إذا علم أن غيرَه يكفيه[(١)]:**

١٠٩ ـ **فحدثنا** جعفر بن محمد الصندلي، ثنا الحسين بن محمد الزعفراني، ثنا شَبَابة بن سَوَّار، ثنا شُعبة، عن عطاء بن السائب، عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى، قال: أدركت عشرين ومئة من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار، إذا سُئل أحدُهم عن الشيء أحبَّ أن يَكفيَه صاحبُه[(٢)].

١١٠ ـ **أخبرنا** أبو بكر، ثنا جعفر ـ أيضًا ـ، ثنا محمد بن المثنى، قال: سمعت بِشر بن الحارث يقول: سمعت المُعافى بن عمران يَذكرُ عن سفيان،

= ـ وفي «جامع بيان العلم» (١١٥٤) قال مِسعر: من أراد الحديث للناس فليجتهد؛ فإن بلاءهم شديد، ومن أراد لنفسه فقد اكتفى. وكان شعبة حاضرًا، فقال: هذا والله ينبغي أن يُكتب.

ـ وفيه (١١٥٦) عن إبراهيم التيمي، قال: من طلب العلم لله آتاه الله منه ما يكفيه.

ـ وفي لفظ (١٢٧٦) قال: من تعلم علمًا يريد به وجه الله والدار الآخرة آتاه الله من العلم ما يحتاج إليه.

ـ وفيه (٨٨٥) قال مالك بن دينار: من طلب العلم لنفسه فقليل العلم يكفيه، ومن طلبه للناس فحوائج الناس كثيرة.

(١) قال ابن القيم رحمه الله في «إعلام الموقعين» (١/ ٧٠): كان السلف من الصحابة والتابعين يكرهون التَّسرُّعَ في الفتوى، ويودُّ أحدهم أن يكفيه إياها غيرُه. فإذا رأى أنها قد تعيَّنت عليه بَذَلَ اجتهادَه في معرفة حكمها من الكتاب والسُّنة، أو قول الخلفاء الراشدين، ثم أفتى. اهـ.

وانظر: «جامع بيان العلم» (٢/ ١١٢٠) (باب تدافع الفتوى وذم من سارع إليها).

(٢) في «مسند الدارمي» (١٣٨) عن داود، قال: سألت الشعبي، كيف كنتم تصنعون إذا سئلتم؟

قال: على الخبير وقعت، كان إذا سُئل الرجل قال لصاحبه: أفتهم، فلا يزال حتى يرجع إلى الأول.

قال: أدركتُ الفقهاءَ وهم يكرهون أن يُجيبوا في المسائل والفُتيا، ولا يُفتوا حتى لا يجدوا بُدًّا من أن يُفتوا.

وقال المُعافى: سألت سفيان، فقال: أدركتُ الناسَ ممن أدركتُ من العلماء والفقهاء وهم يترادُّون المسائل، يكرهون أن يُجيبوا فيها، فإذا أُعْفوا منها؛ كان ذلك أحبَّ إليهم(١).

**١١١ ـ أخبرنا** أبو بكر، ثنا أبو العباس أحمد بن سهل الأُشناني، ثنا الحسن بن الأسود العِجلي، ثنا يحيى بن آدم، ثنا حماد بن شعيب، عن حجاج، عن عُمير بن سعيد، قال: سألت علقمة عن مسألة، فقال: ائتِ عَبيدة فَسَلْهُ، [٢٨/أ] فأتيتُ عَبيدةَ، فقال: ائتِ علقمة، فقلت: علقمة أرسلني إليك، فقال: ائت مسروقًا فَسَلْهُ، فأتيت مسروقًا، فسألته، فقال: ائت علقمة فَسَلْهُ، فقلت: علقمة أرسلني إلى عَبيدة، وعَبيدة أرسلني إليك، فقال: ائتِ عبد الرحمٰن بن أبي ليلى، فأتيت عبد الرحمٰن بن أبي ليلى فسألتُه، فكرهه، ثم رَجعتُ إلى علقمة فأخبرته، قال: كان يقال: أَجرَأُ القوم على الفُتيا أدناهم علمًا(٢).

---

(١) رواه ابن الجوزي في «تعظيم الفتيا» (١٣) من طريق المصنف.
قلت: سفيان هو الثوري وهو يقول هذا الكلام في القرن الثاني من الهجرة فقد توفي سنة (١٦١هـ) رحمه الله.

(٢) رواه ابن الجوزي في «تعظيم الفتيا» (١٢) من طريق المصنف.
ـ وفيه أيضًا (١٥) عن سفيان بن عيينة، قال: أعلم الناس بالفتوى أسكتهم فيها، وأجهل الناس بالفتوى أنطقهم فيها.
ـ وفيه (١٦) عن عطاء بن السائب، قال: أدركت أقوامًا إن كان أحدهم ليسأل عن الشيء فيتكلم وإنه ليرعد.
ـ قال ابن القيم رحمه الله في «إعلام الموقعين» (١/ ٧٢):
قال سحنون بن سعيد: أَجْسَرُ الناس على الفتيا أقلُّهم علمًا، يكون عند الرجل البابُ الواحد من العلم يظنُّ أن الحق كله فيه. =

١١٢ ـ أخبرنا أبو بكر، ثنا جعفر بن محمد الصَّندلي، أنبا محمد بن المثنى، قال: سمعت بشرًا قال: قال سُفيان: من أحبَّ أن يُسألَ؛ فليس بأهلٍ أن يُسأل[(١)].

---

= قلت (ابن القيم): الجرأة على الفُتيا تكون من قِلَّة العلم ومن غَزَارته وسَعَته، فإذا قلَّ علمُه أفتى عن كل ما يُسأل عنه بغير علم، وإذا اتسع علمه اتَّسَعت فُتْياه. ولهذا كان ابن عباس رضي الله عنهما من أوْسَع الصحابة فُتيا، وقد تقدم أن فتاواه جُمِعَتْ عشرين سِفرًا. وكان سعيد بن المسيب أيضًا واسعَ الفتيا، وكانوا يسمونه «الجريء»، كما ذكر ابن وهب عن محمد بن سُليمان المُرادي، عن أبي إسحاق، قال: كنت أرى الرجلَ في ذلك الزمان وإنه لَيَدخُل يَسأل عن الشيء، فيدفعه الناس من مجلس إلى مجلس، حتى يُدْفَع إلى مجلس سعيد بن المسيب كراهيةً للفُتيا، قال: وكانوا يدعونه سعيد بن المسيب الجريء.

وقال سحنون: إني لأحفظ مسائل منها ما فيه ثمانية أقوال من ثمانية أئمة من العلماء، فكيف ينبغي أن أعجَلَ بالجواب حتى أتخيَّر؟ فَلِمَ أُلام على حبس الجواب؟. اهـ.

ـ وفيه (١٩) عن أبي بكر الأثرم، قال: سمعت أبا عبد الله [أحمد بن حنبل] يقول: من عرض نفسه للفتيا فقد عرضها لأمر عظيم إلَّا أنه قد تجيء الضرورة.

قال الحسن: إن تركناهم وكلناهم إلى عي شديد، فإنما تكلم القوم على هذا، كان قوم يرون أنهم أكثر من غيرهم فتكلموا.

قيل لأبي عبد الله: فأيما أفضل، الكلام أو الإمساك؟

قال: الإمساك أحب إليَّ لا شكَّ، الإمساك أسلم.

قيل له: فإذا كانت الضرورة؟ فجعل يقول: الضرورة، الضرورة.

(١) في «مسند الدارمي» (١٧٨) عن محمد بن سيرين، عن أبي عبيدة بن حذيفة، قال: قال حذيفة رضي الله عنه: إنما يفتي الناس أحد ثلاثة: رجل عَلِمَ ناسخ القرآن من منسوخه.

قالوا: ومن ذاك؟ قال: عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال: وأمير لا يجد بُدًّا، أو أحمق مُتكلِّف.

ثم قال محمد: فلست بواحد من هذين، وأرجو أن لا أكون الثالث.

**١١٣ ـ أخبرنا** أبو بكر، ثنا أبو بكر عبد الله بن عبد الحميد الواسطي، ثنا زُهير بن محمد، ثنا سعيد بن سُليمان، ثنا محمد بن طلحة بن مُصرّف، عن أبي حمزة قال: قال لي إبراهيم[1]: واللهِ يا أبا حمزة، لقد تكلَّمتُ، ولو أجد بُدًّا ما تكلَّمتُ، وإن زمانًا أكون فيه فقيهَ أهلِ الكوفة لزمانُ سوء.

**• وأما مَن كان إذا سُئِل عن الأمر سأل: هل كان؟**

فإن قيل: كان، أفتى فيه، وإن قيل: لم يكُن؛ لم يُفتِ فيه.

كل ذلك إشفاقًا من الفُتيا.

**١١٤ ـ أخبرنا** أبو بكر، ثنا أبو شُعيب عبد الله بن الحسن الحَرَّاني، ثنا داود بن عَمرو، ثنا عبد الرحمن بن أبي الزِّناد، عن أبيه، عن خارجة بن زيد [٢٨/ب] بن ثابت، قال: إذا سُئِل [زيد بن ثابت رضي الله عنه][2] عن شيءٍ، قال: هل وقع؟

فإن قالوا له: لم يقع؛ لم يُخبرهم.

وإن قالوا: قد وقع؛ أخبرهم.

---

(١) وهو النخعي توفي سنة (٩٦هـ) رحمه الله. جاء في «السير» (٤/ ٥٢٠): الإمام، الحافظ، فقيه العراق، أبو عمران.. كان مُفتي أهل الكوفة هو والشعبي في زمانهما، وكان رجلًا صالحًا، فقيهًا، متوقيًا، قليل التكلف، وهو مختف من الحجاج.

قال سعيد بن جبير: أتستفتوني وفيكم إبراهيم؟!

قال أحمد بن حنبل: كان إبراهيم ذكيًّا، حافظًا، صاحب سُنة.

(٢) ما بين [ ] من «الإبانة الكبرى» (٣٤٢)، و«جامع بيان العلم» لابن عبد البر (٢٠٥٨).

ـ ورواه ابن أبي خيثمة في «العلم» (٧٦) عن موسى بن علي، عن أبيه، قال: كان زيد بن ثابت إذا سأله رجل عن شيء، قال: آلله لكان هذا؟ فإن قال: نعم. تكلم فيه، وإلَّا لم يتكلم.

وهذه الآثار عن زيد بن ثابت رضي الله عنه ثابتة.

١١٥ ـ أخبرنا أبو بكر، ثنا أبو بكر عبد الله بن عبد الحميد الواسطي، ثنا زهير، ثنا أبو نُعيم، ثنا موسى بن عُلَيّ، قال: سمعت أبي، قال: كان الرجل يأتي زيد بن ثابت رضي الله عنه فيسأله عن الأمر، فيقول: آلله لنزلَ هذا؟ فإن قال: واللهِ لقد نزل هذا؛ أفتاه، وإن لم يحلف تركه.

١١٦ ـ أخبرنا أبو بكر، ثنا ابن عبد الحميد الواسطي ـ أيضًا ـ، ثنا زهير، ثنا سريج بن النعمان، ثنا أبو عَوانة، عن فِراس، عن عامر، عن مسروق، قال: كنتُ أمشي مع أُبي بن كعب رضي الله عنه، فقال له رجلٌ: يا عمَّاه، كذا وكذا.

فقال له: يا ابن أخي، أكان هذا؟

قال: لا.

قال: فاعفِنا حتى يكون[1].

١١٧ ـ أخبرنا أبو بكر، ثنا ابن عبد الحميد، ثنا زُهير، أنبا منصور بن سُقَير[2]، ثنا حماد بن زيد، ثنا الصَّلت بن راشد، قال: سألت طاووسًا عن شيء، فانتهرني، وقال: أكان هذا؟

قلت: نعم.

قال: آلله؟

قلت: آلله.

قال: أصحابنا أخبرونا عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال: أيها الناس، لا تَعجلوا بالبلاءِ قبل نُزوله، فيذهبَ بكم ههنا وههنا، فإنكم إن

---

(١) وفي «العلم» لابن أبي خيثمة (٧٧) عن مسروق، قال: سألت أُبي بن كعب رضي الله عنه عن شيء، فقال: أكان بعدُ؟ قلت: لا. قال: فأجِمَّنا حتى يكون، فإذا كان؛ اجتهدنا لك رأينا.

(٢) في «تهذيب الكمال» (٢٨/ ٥٣٣): منصور بن شقير، ويقال: ابن سقير.

لم تَعجلوا بالبلاء قبل نزولِه؛ لم[(١)] ينفكَّ المسلمون أن يكون فيهم مَن إذا سُئِل سُدِّد، أو قال وُفِّق[(٢)] [٢٩/أ].

(١) في الأصل: (ولم).

(٢) وفي «مسند الدارمي» (١٢٣) عن حماد بن يزيد المنقري، حدثني أبي، قال: جاء رجل يومًا إلى ابن عمر رضي الله عنهما، فسأله عن شيءٍ لا أدري ما هو، فقال له: ابن عمر: لا تسأل عما لم يكن، فإني سمعت عمر بن الخطاب رضوان الله عليه يلعن من سأل عما لم يكن.

- وفي «جامع بيان العلم» (٢٠٦٦) قال ابن وهب: أخبرني ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب: أن عبد الملك بن مروان سأل ابن شهاب [الزهري]، فقال له ابن شهاب: أكان هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: لا. قال: فدعه، فإنه إذا كان أتى الله عز وجل له بفرج.

- قال ابن القيم رحمه الله في «إعلام الموقعين» (١١٣/٥): إذا سأل المستفتي عن مسألة لم تقع فهل تُستحبُّ إجابته، أو تكره، أو يخيَّر؟ فيه ثلاثة أقوال. وقد حُكي عن كثير من السلف أنه كان لا يتكلم فيما لم يقع، وكان بعض السلف إذا سأله الرجل عن مسألة، قال: هل كان ذلك؟ فإن قال: نعم، تكلَّف له الجواب، وإلَّا قال: دعنا في عافية.

وقال الإمام أحمد لبعض أصحابه: إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام.

والحق: التفصيل؛ فإن كان في المسألة نصٌّ من كتاب الله، أو سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو أثر عن الصحابة رضي الله عنهم لم يُكره الكلام فيها، وإن لم يكن فيها نصٌّ، ولا أثر، فإن كانت بعيدة الوقوع أو مقدَّرة لا تقع لم يُستحبَّ له الكلام فيها.

وإن كان وقوعها غير نادر ولا مُستبعد، وغرضُ السائل الإحاطة بعلمها ليكون منها على بصيرة إذا وقعت: استحب له الجواب بما يعلم، لا سيما إن كان السائل يتفقَّه بذلك ويعتبر بها نظائرها، ويفرِّع عليها، فحيث كانت مصلحة الجواب راجحةً كان هو الأولى، والله أعلم. اهـ.

- قال ابن رجب رحمه الله في «جامع العلوم والحكم» (٢٥٠/١): قال الميموني: سمعت أبا عبد الله - يعني: أحمد - يسأل عن مسألة، فقال: وقعت =

= هذه المسألة؟ بليتم بها بعد؟ وقد انقسم الناس في هذا الباب أقسامًا: فمن أتباع أهل الحديث من سدَّ باب المسائل حتى قل فقهه وعلمه بحدود ما أنزل الله على رسوله، وصار حامل فقهٍ غير فقيه. ومن فقهاء أهل الرأي من توسَّع في توليد المسائل قبل وقوعها، ما يقع في العادة منها وما لا يقع، واشتغلوا بتكلّف الجواب عن ذلك، وكثرة الخصومات فيه، والجدال عليه حتى يتولد من ذلك افتراق القلوب، ويستقرّ فيها بسببه الأهواء والشحناء والعداوة والبغضاء، ويقترن ذلك كثيرًا بنية المغالبة، وطلب العلو والمباهاة، وصرف وجوه الناس، وهذا مما ذمّه العلماء الربانيون، ودلت السُّنة على قُبحه وتحريمه. وأما فقهاء أهل الحديث العاملون به، فإن معظم همهم البحث عن معاني كتاب الله ﷻ، وما يُفسِّره من السنن الصحيحة، وكلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وعن سُنة رسول الله ﷺ، ومعرفة صحيحها وسقيمها، ثم التفقه فيها وتفهمها، والوقوف على معانيها، ثم معرفة كلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان في أنواع العلوم من التفسير والحديث، ومسائل الحلال والحرام، وأصول السنة والزهد والرقائق وغير ذلك، وهذا هو طريقة الإمام أحمد ومن وافقه من علماء الحديث الربانيين، وفي معرفة هذا شُغل شاغل عن التشاغل بما أُحدث من الرأي ما لا ينتفع به، ولا يقع، وإنما يورث التجادل فيه كثرة الخصومات والجدال، وكثرة القيل والقال.

وكان الإمام أحمد كثيرًا إذا سُئل عن شيءٍ من المسائل المتولدات التي لا تقع يقول: دعونا من هذه المسائل المحدثة... ومن سلك طريقة طلب العلم على ما ذكرناه، تمكَّن من فهم جواب الحوادث الواقعة غالبًا؛ لأن أصولها توجد في تلك الأصول المُشار إليها، ولا بُدَّ أن يكون سلوك هذا الطريق خلف أئمة أهله المجمع على هدايتهم ودرايتهم كالشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عُبيد، ومن سلك مسلكهم، فإن من ادعى سلوك هذا الطريق على غير طريقهم، وقع في مفاوز ومهالك، وأخذ بما لا يجوز الأخذ به، وترك ما يجب العمل به.

وملاك الأمر كله أن يقصد بذلك وجه الله، والتقرُّب إليه بمعرفة ما أنزل على رسوله، وسلوك طريقه، والعمل بذلك، ودعاء الخلق إليه، ومن كان كذلك وفقَّه الله وسدَّده، وألهمه رشده، وعلَّمه ما لم يكن يعلم، وكان من =

**١١٨** ـ قال محمد بن الحسين:

**• وأمَّا ما ذكرنا في الأُغلُوطات[1]، وتعقيد المسائل مما ينبغي للعالم أن يُنَزِّه نفسه عن البحث عنها مما لم يكن، ولعلَّها لا تكون أبدًا فيُشغلوا نفوسهم بالنظر والجدل والمِراء فيها حتى يشتغلوا بها عما هو أولى بهم، ويغالطَ بعضُهم بعضًا، ويطلبَ بعضهم زللَ بعض، ويسألَ بعضهم بعضًا.**

هذا كله مكروهٌ مَنهيٌّ عنه، لا يعود على من أراد هذا منفعةٌ في دينه، وليس هذا طريقَ من تقدَّم من السلف الصالح، ما كان يطلب بعضهم غلطَ بعضٍ، ولا مرادُهم أن يُخطِّئ بعضُهم بعضًا، بل كانوا علماء عقلاءَ، يتكلَّمون في العلم مُناصحةً، قد نفعهم الله بالعلم[2].

**١١٩** ـ **أخبرنا** أبو بكر، ثنا الفريابي، ثنا قُتيبة بن سعيد، ثنا سُفيان بن عيينة، عن الزهري، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أعظمَ المسلمين في المسلمين جُرمًا: رجلٌ سأل عن أمرٍ لم يُحرَّمَ،**

= العلماء الممدوحين في الكتاب في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، ومن الراسخين في العلم. اهـ.

(١) سيأتي تفسيرها قريبًا.

(٢) عقد ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإبانة الكبرى» بابًا في هذه المسألة، فقال: (٨/ باب ترك السؤال عما لا يعني، والبحث والتنقير عما لا يضرُّ جهله، والتحذير من قوم يتعمقون في المسائل، ويتعمدون إدخال الشكوك على المسلمين). ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (اعلموا ـ إخواني ـ أني فكَّرت في السَّبب الذي أخرج أقوامًا من السُّنة والجماعة، واضطرَّهم إلى البدعة والشناعة، وفَتَح باب البلية على أفئدتهم، وحَجَبَ نورَ الحقِّ عن بصيرتهم، فوجدت ذلك من وجهين:

أحدهما: البحث والتنقير، وكثرة السُّؤال عما لا يغني، ولا يضرُّ العاقلَ جهلُه، ولا ينفعُ المؤمن فهمه.

والآخرُ: مُجالسةُ من لا تؤمنُ فتنته، وتُفسِد القلوبَ صحبتُه). اهـ.

فحُرِّمَ من أجلِ مسألته»(١).

١٢٠ ـ أخبرنا أبو بكر، ثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي أبو عبد الله، ثنا أبو طالب عبد الجبار بن عاصم، ثنا عبيد الله بن عَمرو، عن عبد الملك بن عُمير، عن وَرَّادٍ مولى المغيرة بن شعبة، عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: أن رسول الله [٢٩/ب] صلى الله عليه وسلم نهى عن قيلَ وقالَ، وكثرةِ السُّؤال(٢).

(١) رواه أحمد (١٥٢٠)، والبخاري (٧٢٨٩)، ومسلم (٢٣٥٨).
ـ قال البغوي رحمه الله في «شرح السُّنة» (١/ ٣١٠): (المسألة) وجهان:
أحدهما: ما كان على وجه التبين والتعلم فيما يحتاج إليه من أمر الدين، فهو جائز مأمور به، قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣﴾ [النحل].
والوجه الآخر: ما كان على وجه التكلُّف، فهو مكروه، فسكوت صاحب الشرع عن الجواب في مثل هذا زجر وردع للسائل، فإذا وقع الجواب، كان عقوبة وتغليظًا.
والمراد من الحديث هذا النوع من السؤال، وقد شدَّد بنو إسرائيل على أنفسهم بالسؤال عن وصف البقرة مع وقوع الغُنية عنه بالبيان المتقدم، فشدَّد الله عليهم. اهـ.
(٢) رواه أحمد (١٨١٤٧)، والبخاري (١٤٧٧ و٧٢٩٢)، ومسلم (٥٩٣).
ـ قال البغوي رحمه الله في «شرح السُّنة» (١/ ٢٠٣): قيل في قوله: «قيل وقال»، وجهان:
أحدهما: حكاية أقاويل الناس وأحاديثهم والبحث عنها، فيقول: قال فلان كذا، وقيل لفلان كذا، وهو من باب التجسس المنهي عنه.
وقيل: هو فيما يرجع إلى أمرِ الدِّين، وذكر ما وقع فيه من الاختلاف، يقول: قال فلان كذا، وقال فلان كذا، من غير ثبت ويقين لكي يُقلد ما سمعه، ولا يحتاط لموضع اختياره من تلك الأقاويل.
وقوله: «وكثرة السُّؤال»: فإنها مسألة الناس أموالهم بالشَّرهِ، وترك الاقتصار فيه على قدر الحاجة. وقد يكون من السُّؤال عن الأمور، وكثرة البحث عنها، كما قال الله تعالى: ﴿لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ =

**١٢١ ـ أخبرنا** أبو بكر، ثنا جعفر بن محمد الصَّندلي، ثنا أحمد بن منصور الرَّمادي، ثنا أبو النضر ـ يعني: الدمشقي ـ، ثنا يزيد بن ربيعة، قال: سمعت أبا الأشعث، يُحدِّث عن ثَوبان رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**سيكون أقوامٌ من أُمَّتي يَتغلَّطون فقهاءَهم بعِضَلِ**[1] **المسائل، أولئك شِرارُ أُمَّتي**»[2].

**١٢٢ ـ أخبرنا** أبو بكر، ثنا جعفر الصندلي، ثنا الحسن بن محمد الزعفراني، ثنا علي بن بحر القطان، ثنا عيسى بن يونس، ثنا الأوزاعي، عن عبد الله بن سعد، عن الصُّنابحي، عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الأُغْلوطات[3].

قال عيسى: و(الأُغْلوطات): ما لا يحتاج إليه من: كيف، وكيف؟[4].

= [المائدة: ١٠٤]، وقد يكون من المتشابه الذي أُمر بالإيمان بظاهره في قوله تبارك وتعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ [آل عمران: ٧]. اهـ.

(١) في «الصحاح» (٥/ ١٧١٦): أعْضَلَني فلانٌ، أي: أعياني أمره. وقد أعْضَلَ الأمر، أي: اشتدَّ واستغلق. وأمرٌ مُعضل: لا يُهتدى لوجهه. اهـ.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٤٣١)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٣٢٣)، ولفظه: «**سيكون أقوامٌ يَتغلَّطون فقهاءهم بصعاب المسائل..**».

وفي إسناده: يزيد بن ربيعة، وهو متروك. انظر «الميزان» (٤/ ٤٢٢).

ـ قال المصنف رحمه الله في «الشريعة» (١٨٠): وقد كان العلماء قديمًا وحديثًا يكرهون عضل المسائل، ويردونها، ويأمرون بالسؤال عما يعني؛ خوفًا من المراء والجدال الذي نهوا عنه. اهـ.

(٣) رواه أحمد (٢٣٦٨٧)، وأبو داود (٣٦٥٦). وفي إسناده: عبد الله بن سعد البجلي، قال أبو حاتم الرازي: مجهول. «الجرح والتعديل» (٥/ ٦٤).

(٤) وفسَّرها الأوزاعي رحمه الله: بشِداد المسائل وصعابها. «الإبانة الكبرى» (٣٢٢).

ـ وفي «جامع بيان العلم» (٢٠٨٣)، و«جامع العلوم والحكم» (١/ ٢٤٧) قال الأوزاعي رحمه الله: إن الله إذا أراد أن يحرم عبده بركة العلم، ألقى على لسانه المغاليط، فلقد رأيتهم أقل الناس علمًا. =

١٢٣ ـ أخبرنا أبو بكر، ثنا أبو جعفر محمد[(١)] بن محمد البَرْذعي في المسجد الحرام، ثنا يونس بن عبد الأعلى، ثنا عبد الله بن وهب، أنبا مسلمة بن علي، عن صالح، عن الحسن، قال: إن شِرار عباد الله: قومٌ يُحبُّونَ شِرارَ المسائل، يُعْمُون بها عباد الله.

١٢٤ ـ أخبرنا أبو بكر، ثنا جعفر بن محمد الصَّندلي، أنبا الزعفراني، ثنا عبد الوهاب بن عطاء، عن عمران بن حُدَير، عن رُفيع أبي كثير[(٢)]، قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يومًا: سلوني عما شئتم؟

فقال ابن الكوَّاء: ما السَّوادُ في القمر؟ [٣٠/أ]

قال: قاتلك الله! ألا سألت عما ينفعُك في دنياك وآخرتِك؟ ذاك مَحوُ آيةِ الليل[(٣)].

---

= ـ وفيه (٢٠٩٩) عن يحيى بن أيوب قال: بلغني أن أهل العلم كانوا يقولون: إذا أراد الله ألَّا يُعلِّمَ عبدَه خيرًا شغله بالأغاليط.

(١) في الأصل: (أحمد)، والصواب ما أثبته وقد تقدم التنبيه عليه برقم (٩٠).

(٢) في الأصل: (ربيع بن كثير)، والصواب ما أثبته كما في «التاريخ الكبير» (٩/ ٨٩)، و«الإبانة الكبرى» (٣٥٩).

(٣) رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٣٥٩)، وقال: وفيه زيادة من طريق أُخرى: قال: أخبرنا عن قوله: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١﴾، قال: ثكلتك أُمُّك، سل تَفقُّهًا، ولا تسل تعنُّتًا عما لا يعنيك، ودع ما لا يعنيك.. وذكر الأثر.

قال: وهكذا كان العلماء والعقلاء إذا سُئلوا عما لا ينفع السائل علمه، ولا يضرُّه جهله.

ورُبما كان الجواب أيضًا مما لا يضبطه السائل، ولا يبلغه فهمه؛ منعوه الجواب، ورُبَّما زجروه وعنَّفوه.

قال ابن شُبرمة: من المسائل مسائل لا يجوز للسائل أن يسأل عنها، ولا للمسئول أن يُجيب عنها.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: من أفتى الناس في كلِّ ما يستفتونه فهو مجنون. =

**١٢٥ ـ أخبرنا** أبو بكر، ثنا جعفر بن محمد الصندلي، ثنا الفضل بن زياد، قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله يقول لرجل ألحَّ عليه في تعقيد المسائل، فقال أحمد: تسأل عن عبدٍ بين رجلين؟! سل عن الصلاة والزكاة شيئًا تنتفعُ به، ونحو هذا، ما تقول في صائم احتلم؟

فقال الرجل: لا أدري.

فقال أبو عبد الله: تترك ما تنتفع به، وتسأل عن عبدٍ بين رجلين؟!

ثم حدثنا، عن رَوْح، عن أشعث، عن الحسن في صائم احتلم: لا شيء عليه.

---

= وقال ابن مسعود رضي الله عنه ـ أيضًا ـ: إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا سدَدَّه، وجعل سؤاله عما يعنيه، وعلَّمه فيما ينفعه. وقال: إياكم والتنطع، والتَّعمُّق، وعليكم بالعتيق.

وقال أبو يوسف: العلمُ بالكلامِ هو الجهل، والجهل بالكلام هو العلم.

وقال زيد بن علي لابنه: يا بُنيِ، اطلب ما يعنيك بترك ما لا يعنيك، فإن في تركك ما لا يعنيك دركًا لما يعنيك، واعلم أنك تقدم على ما قدمت، ولست تقدم على ما أخَّرت، فآثر ما تلقاه غدًا على ما لا تراه أبدًا.

وقال يحيى بن معاذ الرازي: إن ربنا تعالى أبدى شيئًا، وأخفى أشياء، وإن المحفوظين بولاية الإيمان حفظوا ما أبدى، وتركوا ما أخفى، وذهب آخرون يطلبون علم ما أخفى، فهتكوا، فهلكوا، فأدَّاهم الترك لأمره إلى حدود الضلال، فكانوا زائغين. . .

وقال طاووس: إني لأرحم الذين يسألون عما لم يكن مما أسمع منهم.

وقال الشعبي: لو أدرك هؤلاء الأرائيون النبي ﷺ لنزل القرآن كله: يسألونك، يسألونك.

فالعجب يا إخواني ـ رحمكم الله ـ لقوم حيارى تاهت عقولهم عن طرقات الهدى، فذهبت تندّ محاضره في أودية الرَّدى، تركوا ما قد بينه الله عز وجل في وحيه، وافترضه على خلقه، وتعبَّدهم بطلبه، وأمرهم بالنظر، والعمل به، وأقبلوا على ما لم يجدوه في كتاب ناطقٍ، ولا تقدَّمهم فيه سلف سابق، فشغلوا به، وفرغوا له آراءهم، وجعلوه دينًا يدعون إليه، ويعادون من خالفهم عليه. اهـ.

وحدثنا عن رَوح، عن حبيب بن أبي حبيب، عن عَمرو بن هَرِم، عن جابر بن زيد في صائم احتلم؟

قال: لا شيء عليه؛ ولكن يُعَجِّل الغُسل(١).

قال محمد بن الحسين:

فلو أدَّب العلماءُ أنفسَهم وغيرَهم بمثل هذه الأخلاقِ التي كان عليها مَن مضى من أئمة المسلمين انتفعوا بها، وانتفع بهم غيرُهم، وبارك الله لهم في قليل علمِهم، وصاروا أئمةً يُهتدى بهم.

**• وأمَّا الحُجَّةُ للعالم يُسأل عن الشيء لا يعلمه، فلا يستنكفُ أن يقول: (لا أعلم)، إذا كان لا يعلم.**

١٢٦ ـ وهذا طريق أئمة المسلمين من الصحابة، ومَن بعدهم مِن أئمة المسلمين، اتَّبعوا في ذلك نبيهم ﷺ؛ [٣٠/ب] لأنه كان إذا سُئِل عن الشيء مما لم يتقدَّم له فيه عِلمُ الوحي من الله عز وجل فيقول: (لا أدري).

وهكذا يجب على كل من سُئِل عن شيء لم(٢) يتقدَّم فيه العلم أن يقول: (الله أعلم به)، و(لا علمَ لي به)، ولا يتكلَّف ما لا يعلمه، فهو أَعْذرُ له عند الله، وعند ذوي الألباب.

١٢٧ ـ أخبرنا أبو بكر، ثنا الفريابي، ثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا جرير بن عبد الحميد، عن عطاء بن السائب، عن مُحارب بن دِثار، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:

---

(١) قال الكوسج رحمه الله في «مسائله» (٣٣٠٩) قلت لأحمد بن حنبل: من قال: تذاكر العلم بعض ليلة أحب إليَّ من إحيائها؟
قال: العلم الذي ينتفع به الناس في أمر دينهم.
قلت: في الوضوء والصلاة والصوم والحج والطلاق، ونحو هذا؟
قال: نعم. قال إسحاق [بن راهويه]: كما قال.

(٢) في الأصل: (لا).

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أي البِقاع خير؟

قال: «**لا أدري**»، أو سكت.

قال: فأيُّ البقاع شرٌّ؟

قال: «**لا أدري**»، أو سكت.

فأتاه جبريل عليه السلام فسأله، فقال: «**لا أدري**».

فقال: «**سل ربَّك، قال: ما أسألُه عن شيءٍ**»، وانتفض انتفاضة كاد يُصْعَقُ منها محمد ﷺ، قال: فلما صَعِدَ جبريلُ عليه السلام، قال الله تعالى: «**سألكَ محمدٌ عن أيِّ البقاعِ خيرٌ؟ قلتَ: لا أدري، وسألكَ عن أيِّ البقاع شرٌّ؟ قلت: لا أدري، قال: فخبِّره: أن خيرَ البِقاعِ المساجدُ، وشرَّ البقاعِ الأسواقُ**»[(١)].

١٢٨ ـ **أخبرنا** أبو بكر، ثنا أبو أحمد هارون[(٢)] بن يوسف التاجر، ثنا ابن أبي عُمر، ثنا سفيان، عن عطاء بن السائب، عن زاذان أبي مَيسَرة، قال: خرج علينا علي بن أبي [٣١/أ] طالب رضي الله عنه يومًا وهو يمسح بطنه، وهو يقول: يا بَردَها على الكَبِدِ، سُئلتُ عما لا أعلم، فقلتُ: لا أعلم، والله أعلم[(٣)].

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (١٣٧٩٨)، وابن حبان (١٥٩٩)، والحاكم (١/ ٩٠).
وفي إسناده: عطاء بن السائب اختلط، ورواية جرير بن عبد الحميد عنه بعد الاختلاط كما قال ابن معين في «تاريخه» (١٤٦٥).
وفي «صحيح مسلم» (٢٨٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ، قال: «**أحبُّ البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها**».

(٢) في الأصل: (أحمد بن هارون). والصواب ما أثبته كما في (ب)، وقد تقدم على الصواب (٢٢).

(٣) هذا الأثر له طرق كثيرة عن علي رضي الله عنه، وهو أثر صحيح عنه.

**١٢٩ ـ أخبرنا** أبو بكر، ثنا [أبو] أحمد ـ أيضًا ـ، ثنا ابن أبي عُمر، ثنا سُفيان، عن الأعمش، عن مسلم، عن مَسروق، قال: قال عبد الله رضي الله عنه: أيها الناسُ، من عَلِمَ منكم عِلمًا فليقُل به، ومن لم يَعلم فيقول: (لا أعلم، والله أعلم). فإن من عِلم المرء أن يقول لما لا يعلم: (الله أعلم)، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [طه][(١)].

**١٣٠ ـ أخبرنا** أبو بكر، ثنا أبو محمد يحيى بن صاعد، ثنا الحسين بن الحسن المَروزي، ثنا ابن المبارك، ثنا محمد بن عجلان، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سُئِلَ عن أمرٍ لا يعلمه، فقال: لا أعلمه.

**١٣١ ـ أخبرنا** أبو بكر، ثنا جعفر الصَّندلي، ثنا أحمد بن منصور الرمادي، ثنا مُحاضِر، عن الأعمش، عن عطية، قال: جاء رجلٌ إلى ابن عمر رضي الله عنهما يسأله عن فريضةٍ هَيِّنةٍ من الصُّلب.

فقال: لا أدري.

فقام الرجل. فقال له بعض مَن عنده: ألا أخبرتَ الرجل؟

فقال: لا، والله ما أدري[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (٤٨٠٩)، ومسلم (٢٧٩٨)، وهو جزء من كلام طويل لابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) في «جامع بيان العلم» (١٥٦٧) عن أيوب قال: تكاثروا على القاسم بن محمد يومًا بمنى، فجعلوا يسألونه، فيقول: لا أدري، ثم قال: إنا والله ما نعلم كل ما تسألونا عنه، ولو علمنا ما كتمناكم، ولا حلَّ لنا أن نكتمكم.

ـ وفيه (١٥٦٧) عن القاسم قال: يا أهل العراق، إنا والله لا نعلم كثيرًا مما تسألونا عنه، ولأن يعيش المرء جاهلًا إلَّا أنه يعلم ما افترض الله عليه خيرٌ له من أن يقول على الله ورسوله ما لا يعلم.

ـ وفيه (١٥٧١) عن ابن عون قال: كنت عند القاسم بن محمد إذ جاءه رجل فسأله عن شيء، فقال القاسم: لا أحسنه، فجعل الرجل يقول: إني =

١٣٢ ـ أخبرنا أبو بكر، أنبا هارون بن يوسف، ثنا ابن أبي عُمر، ثنا سفيان، عن يحيى بن سعيد، قال: سُئل ابنٌ لعبد الله بن عبد الله بن عمر عن شيءٍ، فلم يكن عنده جواب، فقلت: إني لأُعظِمُ أنه [٣١/ب] يكون مثلُك ابنُ إمام هُدًى يُسأل عن شيءٍ لا يكون عندك منه علمٌ!!

فقال: أعظمُ واللهِ من ذلك عند الله، وعند من عَقَلَ عن الله عز وجل؛ أن أقولَ بغير علمٍ، أو أُحدِّثَ عن غير ثقةٍ(١).

١٣٣ ـ أخبرنا أبو بكر، ثنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصَّندلي، ثنا أحمد بن منصور الرَّمادي، ثنا عبد الرزاق، قال: كان مالك يذكر، قال: كان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: إذا أخطأ العالمُ أن يقولَ: (لا أدري)، فقد أُصيبَت مَقَاتِلُه.

١٣٤ ـ أخبرنا أبو بكر، أنبا جعفر الصَّندلي، ثنا يعقوب بن بُخْتان، قال: سمعت

---

= دُفعت إليك لا أعرف غيرك.

فقال القاسم: لا تنظر إلى طول لحيتي، وكثرة الناس حولي، والله ما أُحسنه.

فقال شيخ من قريش جالس إلى جنبه: يا ابن أخي، الزمها فوالله ما رأيتك في مجلس أنبل منك اليوم.

فقال القاسم: والله لأن يُقطع لساني أحبُّ إليَّ من أن أتكلم بما لا علم لي به.

ـ وفيه (١٥٧٢) عن مالك قال: سأل عبد الله بن نافع أيوب السختياني عن شيء، فلم يجبه، فقال له: لا أراك فهمت ما سألتك عنه؟ قال: بلى. قال: فلم لا تجيبني؟ قال: لا أعلمه.

(١) في «تعظيم الفتيا» (٢٤) عن خالد بن أسلم، قال: خرجنا مع ابن عمر رضي الله عنهما فلحقنا أعرابي، فقال: أنت ابن عمر؟ قال: نعم. قال: أترثُ العمَّة؟ فقال: لا أدري، اذهب إلى العلماء بالمدينة فسلهم، فلما أدبر قبَّل ابن عمر يديه، ثم قال: نِعم ما قال أبو عبد الرحمٰن، سُئِلَ عما لا يدري، فقال: لا أدري.

ـ وفيه (٢٥) عن عقبة بن مسلم، قال: صحبت ابن عمر رضي الله عنهما أربعةً وثلاثين شهرًا، وكان كثيرًا ما يُسأل، فيقول: لا أدري، ثم يلتفت إليَّ فيقول: هل تدري ما يريد هؤلاء؟ يريدون أن يجعلوا ظهورنا جسرًا إلى جهنم.

أحمد بن حنبل أبا عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: سمعت الشافعي قال: سمعت مالكًا قال: سمعت ابن عَجلانَ قال: إذا أغفل العالـمُ: (لا أدري)؛ أُصيبت مَقَاتِلُه[1].

١٣٥ ـ أخبرنا أبو بكر، ثنا جعفر، ثنا صالح بن أحمد، عن أبيه، قال: سمعت عبد الرحمٰن بن مهدي يقول: جاء رجلٌ إلى مالك بن أنس يسأله عن شيءٍ، فقال له مالك: لا أدري.

قال الرجل: فأذكُرُ عنك أنك لا تدري؟!

قال: نعم، اِحْكِ عني أني لا أدري[2].

---

(١) في «تعظيم الفتيا» (٣١) عن محمد بن عجلان، قال: (لا أدري) جُنَّة العالـم، فإذا أغفلها أوشك أن تُصَاب مقاتله.

(٢) وفي «جامع بيان العلم» (١٥٧٣) عن عبد الرحمٰن بن مهدي قال: كنا عند مالك بن أنس، فجاءه رجل، فقال: يا أبا عبد الله، جئتك من مسيرة ستة أشهر، حمَّلني أهل بلدي مسألة أسألك عنها، قال: فسل، فسأله الرجل عن مسألة، فقال: لا أُحسنها. قال: فبُهِتَ الرجل، كأنه قد جاء إلى من يعلم كل شيء، قال: فقال: فأيُّ شيءٍ أقول لأهل بلدتي إذا رجعت لهم؟ قال: تقول لهم: قال مالك: لا أُحسن.

ـ وفيه (١٥٧٤) قال مالك: ينبغي للعالـم أن يألف فيما أُشكل عليه قول: (لا أدري)؛ فإنه عسى أن يُهَيَّأُ له خير.

ـ وفيه (١٥٧٥) قال ابن وهب: وكنت أسمعه كثيرًا ما يقول: لا أدري.

ـ وفيه (١٥٧٦) قال في موضع آخر: لو كتبنا عن مالك: (لا أدري) لملأنا الألواح.

ـ وفي «البيان والتحصيل» (١٨/ ٥٢٤) [قال ابن القاسم]: وحدثني عن بعض أصحاب مالك، قال: كنا عنده جلوسًا إذ أتاه ابن أبي حازم، فأدناه وقرَّبه، وأقبل عليه بكلامه وحديثه، ثم قال له: يا ابن أبي حازم، إذا جاءك أحدٌ، فإن قدرت أن تنجي نفسك قبل أن تنجيه فافعل.

وحدثنا عن ابن وهب أنه قال: لمَّا ودَّعتُ مالكًا قال لي: لا تَجعل ظهرك =

قال محمد بن الحسين:

من تَخلَّق بهذه الأخلاق كانت أوصَافه تلك الأوصاف التي تقدم ذِكرُنا لها.

## وصفُ من [لم] يَنفعهم الله بالعلم

١٣٦ ـ وأمَّا من كانت أوصافُه وأخلاقُه الأخلاقَ المذمومةَ [٣٢/أ] التي ذكرناها؛ لم يلتفت إلى هذا، واتَّبع هواه، وتَعاظم في نفسه، وتَجبَّر، ولم يُؤثِّر العلم في قلبه أثرًا يعود عليه نَفعُه، وكانت أخلاقُه في كثير من أموره أخلاقَ أهل الجفاء والغفلة.

وسأذكر مِن أخلاقه الجافية ما إذا تصفَّح نفسه من خرج عن الأخلاق الشريفة، ورضي لنفسه بالأخلاق الدنيئة التي لا تَحسُن بالعلماء، عَلِم أنها فيه، وشَهِدَ على نفسه بذلك، لا يُمكِنه دفعُ ذلك، واللهُ العظيم مُطَّلعٌ على سِرِّه.

**فمن صفته:**

- أن يكون أكثرُ همِّه معاشَه من حيث نُهي عنه، مخافةَ الفقر أن ينزل به، لا يقنع بما أُعطي، مُستبطئًا لما لم يجر به المقدور أن يأتي.
- الشُّغل بالدنيا دائمٌ في قلبه، وذِكرُ الآخرة خَطرات.
- يطلب الدنيا: بالتعب، والحرص، والنَّصَب، ويطلبُ الآخرة: بالتسويف، والمُنى.

---

= للناس جِسْرًا يجوزون عليه إلى ما يحبون، فإن أَخْسَرَ الناس مَن باع آخرته بدنيا غيره. اهـ.

وانظر: «جامع بيان العلم» (١/ ٨٢٦) (باب ما يلزم العالم إذا سُئِلَ عما لا يدريه من وجوه العلم).

• يذكر الرجاءَ عند الذنوب، فيطيبُ[(١)] نفسُه بالمقام عليها، ويذكر العجز عند الطاعة[(٢)] حين همَّ بها، فينزجرُ عنها، ويظن أنه مُحسنٌ بالله الظن، وأنه يثق به في العفو، ولم يُضمَن له، ولا يُحسِنُ الظنَّ بالله، ويثق به في الرزق الذي ضُمِنَ له.

• يضطرب قلبه ويشتغل بطلب رزقه، وقد أُمر بالطمأنينة فيه إلى ربه، ويَطمئنُ ويسكن عند ذكر الموت، وقد نُدِبَ إلى أن يخافَه، ولا يسكن عند الحذر والخوف من أجل رزقه وقد ضُمِنَ له، وأمَّنه الله مِن أن يفوتَه ما قُدِّر له، فما أمَّنه الله منه يخافُه، وما خوَّفه الله منه أمِنه[(٣)].

• يفرحُ بما آتاه الله من الدنيا حتى يَنسى بفرحِه شكرَ ربه، ويَغتمُّ بالمصائبِ حتى تُشغِلَه عن الرِّضا عن ربِّه.

• إن نابته نائبةٌ سبقَ إلى قلبه الفزعُ إلى العباد والاستعانة بهم.

• يطلبُ من ربِّه الفرجَ إذا أيس من الفرج من قِبَل الخلق، فإن طَمِعَ في دُنوٍّ إلى مخلوق نسي مولاه.

• مَن اصطنع إليه معروفًا غلب على قلبه حُبُّ المُصطنِع إليه، وشَغَلَ قلبَه بذكرِه، وألزم قلبَه حبَّه وشكرَه، ناسٍ في جميع ذلك ربَّه.

• يَثقلُ عليه بَذلُ القليل من ماله لمن لا يكافئ عليه إلَّا ربُّه،

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: (فتطيب).

(٢) في الأصل: (الطاعته).

(٣) كما قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه]، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَأْمُرْ ﴿٤٦﴾﴾ يا محمد ﴿أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ﴾ يقول: واصطبر على القيام بها، وأدائها بحدودها أنت. ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ﴾، يقول: لا نسألك مالًا، بل نكلفك عملًا ببدنك، نؤتيك عليه أجرًا عظيمًا وثوابًا جزيلًا، ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ﴾، يقول: نحن نعطيك المال ونكسبكه، ولا نسألكه.

ويَخِفُّ عليه بذلُ الكثير لمن يكافِئُه، أو يُؤمِّل منه منفعةً في دنياه.

• يأثم فيمن أحبَّ فيمدحه بالباطل، ويعصي الله فيمَن يُبغضه فيذمُّه بالباطل.

• يقطع بالظنون، ويُحقِّقُ بالتُّهم.

• يكره ظُلمَ من ينتصرُ لنفسِه، أو ينصره من العباد غيرُه، ويَخِفُّ عليه ظلمُ من لا ناصرَ له سوى ربِّه.

• يثقل عليه الذِّكر، ويخفُّ عليه فضول القول.

• إن كان في رخاءٍ: فرِح، ولَهى، وأسى، وطغى، وبغى.

• وإن زال عنه الرَّخاء: شَغلَ قلبَه عن الواجباتِ، وظنَّ [٣٣/أ] أن لا يفرح ولا يمرح أبدًا.

• إن مرِضَ سوَّفَ التوبةَ، وأظهرَ الندامةَ، وعاهدَ أن لا يعود، وإن وجد الرَّاحةَ نقضَ العهد، ورَجعَ من قريب.

• وإن خافَ الخلقَ، ورجا دنياهم، أرضاهم بما يكره مولاه، وإن خافَ اللهَ كما يزعم، لم يُرضه بما يكره الخلق.

• يستعيذُ بالله مِن شرِّ مَن هو فوقه مِن العباد، ولا يُعيذُ مَن هو دونه من الخلقِ مِن شرِّ نفسه، شفاؤُه في إمضاءِ غَيظه، وإن كان مما يُسخط ربَّه.

• ينظر إلى من فُضِّل عليه في الرزق، فيَستَقِلُّ نِعَمَ ربه، فلا يشكره، ولا ينظر إلى من هو دونه في العيشِ فيشكر النعمة.

• يتشاغل بالفُضول عن الصلوات إلى آخرِ أوقاتِها، فإن صلَّى صلَّى لاهيًا عن صلاته، غيرَ مُعظِّم لمولاه إذا قام بين يديه.

• إذا أطال إمامُه الصلاة مَلَّها وذمَّه، وإن خَفَّفها اغتنمَ خِفَّته وحَمِدَه.

• قليل الدعاء ما لم تَنزِل به الشدائدُ والعِلل، فإن دعا فبقلبٍ مشغولٍ بالدنيا[١].

(١) في «الحلية» (٤/ ٨٤) قال ميمون بن مهران: إن هذا القرآن لقد خَلِقَ في صدر كثير من الناس، والتمسوا ما سواه من الأحاديث، وإن فيمن يبتغي هذا العلم من يتخذه بضاعة يلتمس بها الدنيا، ومنهم من يريد أن يشار إليه، ومنهم من يريد أن يُماري به، وخيرهم من يتعلمه ويطيع الله ﷻ به.

ـ قال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الزهد» (٤٨): أخبرنا رجل من أهل الشام، عن يزيد بن أبي حبيب، قال: إن من فتنة العالم الفقيه:

أن يكون الكلام أحبَّ إليه من الاستماع وإن وجد من يكفيه، فإنه في الاستماع سلامة وزيادة في العلم، والمستمع شريك المتكلم، وفي الكلام ـ إلَّا ما عصم الله ـ تومُّق، وتزينٌ، وزيادة ونقصان.

ومنهم من يرى أن بعض الناس لشرفه ووجهه أحقُّ بكلام من غيره، ويزدري المساكين، ولا يراهم لذلك موضعًا.

ومنهم من يخزُن عِلمه، ويرى أن تعليمه ضيعة، ولا يُحب أن يوجد إلَّا عنده.

ومنهم من يأخذ في علمه بأخذ السلطان حتى يغضبَ أن يُردَّ عليه شيء من قوله، وأن يُغفل عن شيء من حقه.

ومنهم من ينصب نفسه للفُتيا، فلعله يؤتى بالأمر لا علم له به، فيستحيي أن يقول: لا علم لي به فَيَرْجُم، فيكتب من المتكلفين.

ومنهم من يروي كل ما سمع، حتى إنه يروي كلام اليهود والنصارى إرادة أن يُعزِز كلامه.

ـ قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مجموع رسائله» (١/ ١٩): وهؤلاء الذين وقفوا مع ظاهر العلم ولم يصل العلم النافع إلى قلوبهم ولا شموا له رائحة، غلبت عليهم الغفلة والقسوة، والإعراض عن الآخرة، والتنافس في الدنيا، ومحبة العلو فيها، والتقدم بين أهلها.

وقد منعوا إحسان الظن بمن وصل العلم النافع إلى قلبه، فلا يحبونهم، ولا يجالسونهم، وربما ذموهم وقالوا: ليسوا بعلماء، وهذا من خداع الشيطان وغروره، ليحرمهم الوصول إلى العلم النافع الذي مدحه الله ورسوله، وسلف الأمة وأئمتها. =

قال محمد بن الحسين:

هذه الأخلاق وما يُشبهها، تَغلِب على قلب مَن لم ينتفع بالعلم، فبينا هو مقارنٌ لهذه الأخلاق إذ رغبت نفسُه في حبِّ الشرف والمنزلة، وأحَبَّ مجالسة الملوك، وأبناء الدنيا، فأحبَّ أن يشارِكهم فيما هم فيه من رَخى عيشهم، من منزلٍ [٣٣/ب] بهيٍّ، ومركبٍ هنيٍّ، وخادمٍ سَرِيٍّ، ولباسٍ لين، وفراشٍ ناعم، وطعامٍ شهي.

وأحبَّ أن يُغشى بابُه، ويُسمَعَ قولُه، ويُطاعَ أمرُه، فلم يَقدِر عليه إلَّا من جهة القضاءِ فطلبه، ولم يُمكِنه إلَّا ببذل دينه فتذلَّل للملوك ولأتباعهم، وخدَمهم بنفسه، وأكرمهم بمالِه، وسكت عن قبيحِ ما ظهر من مَناكيرهم على أبوابهم، وفي منازلهم وقولهم وفِعلهم، ثم زيَّنَ لهم كثيرًا من قبيح فِعالهم بتأويله الخطأَ، ليُحسِّن موقعَه عندهم.

فلما فعل هذا مُدَّة طويلة، واستحكم فيه الفساد؛ ولَّوه القضاء، فذبحوه بغير سكين، فصارت لهم عليه مِنَّةٌ عظيمةٌ، ووجبَ عليه شُكرُهم، فألزم نفسَه ذلك لئلا يُغضِبَهم عليه فيَعزلوه عن القضاء، ولم يَلتفت إلى غضب مولاه الكريم، فاقتطع أموال اليتامى، والأرامل، والفقراء، والمساكين، وأموال الوقوف على المجاهدين، وأهل الشرف، وبالحرمين، وأموالًا[1] يعود نفعُها على جميع المسلمين، فأرضى بها

= ولهذا كان علماء الدنيا يبغضون علماء الآخرة، ويسعون في أذاهم جهدهم، كما سعوا في أذى سعيد بن المسيب، والحسن، وسفيان، ومالك، وأحمد، وغيرهم من العلماء الربانيين، وذلك لأن علماء الآخرة خلفاء الرسل، وعلماء السوء فيهم شبه من اليهود، وهم أعداء الرسل، وقتلة الأنبياء ومن يأمر بالقسط من الناس، وهم أشد الناس عداوة وحسدًا للمؤمنين، ولشدة محبتهم للدنيا لا يعظمون علمًا ولا دينًا، وإنما يعظمون المال، والجاه، والتقدم عند الملوك. اهـ.

(١) في الأصل: (وأموال).

الكاتبَ، والحاجبَ، والخادم، فأكل الحرامَ، وأطعمَ الحرامَ، وكثُر الداعي عليه، فالويل لمن أورَثَه عِلمُه هذه الأخلاق[(١)].

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «إعلام الموقعين» (٢/٥٠٩): وقد غرَّ إبليس أكثر الخلق بأن حسَّنَ لهم القيام بنوعٍ من الذكرِ، والقراءة، والصلاة، والصيام، والزهد في الدنيا والانقطاع، وعطَّلوا هذه العبوديات، فلم يُحدِّثوا قلوبهم بالقيام بها، وهؤلاء عند ورثةِ الأنبياء من أقلِّ الناس دينًا؛ فإن الدين هو القيام لله بما أمرَ به، فتاركُ حقوق الله التي تجب عليه أسوأ حالًا عند الله ورسوله من مرتكب المعاصي؛ فإن ترك الأمر أعظم من ارتكاب النهي من أكثر من ثلاثين وجهًا ذكرها شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ [يعني: ابن تيمية] في بعض تصانيفه، ومن له خبرةٌ بما بعث الله به رسوله ﷺ، وبما كان عليه هو وأصحابه، رأى أن أكثر من يُشار إليهم بالدين هم أقلُّ الناس دينًا! والله المستعان.

وأيُّ دينٍ وأيُّ خيرٍ فيمن يرى محارم الله تُنتهك، وحدوده تُضاع، ودينه يُترك، وسنةَ رسوله ﷺ يُرغب عنها؛ وهو بارد القلب، ساكت اللسان، شيطان أخرس؟ كما أن المتكلِّم بالباطل شيطان ناطق.

وهل بليَّةُ الدين إلَّا من هؤلاء الذين إذا سَلِمت لهم مآكلُهم ورياساتُهم فلا مُبالاة بما جرى على الدين؟ وخيارهم المتحزِّن المتلمِّظ. ولو نُوزِع في بعض ما فيه غضاضةٌ عليه في جاهه أو ماله بذَل وتَبذَّل، وجدَّ واجتهد، واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسعه. وهؤلاء ـ مع سقوطهم من عين الله، ومَقْتِ الله لهم ـ قد بُلوا في الدنيا بأعظم بليَّةٍ تكون وهم لا يشعرون، وهو موت القلوب؛ فإن القلب كلما كانت حياته أتمَّ كان غضبُه لله ورسوله أقوى، وانتصارُه للدين أكمل.

وقد ذكر الإمام أحمد وغيره أثرًا: أن الله سبحانه أوحى إلى مَلَكٍ من الملائكة أنِ اخسِف بقرية كذا وكذا، فقال: يا رب كيف وفيهم فلانٌ العابدُ؟ فقال: به فابدأ، فإنه لم يتمعّر وجهُه فيَّ يومًا قطُّ.

وذكر أبو عمر في كتاب «التمهيد»: أن الله سبحانه أوحى إلى نبيٍّ من أنبيائه أن قُل لفلان الزاهد: أما زُهدُك في الدنيا فقد تعجّلْتَ به الراحةَ، وأما انقطاعك إليَّ فقد اكتسبت به العِزَّ، ولكن ماذا عملت فيما لي عليك؟ فقال: =

هذا العالِمُ الذي استعاذ منه النبي، وأمر أن يُستعاذَ منه.

هذا العالِمُ الذي قال النبي ﷺ: [٣٤/أ] «إن أشدَّ الناس عذابًا يوم القيامة عالمٌ لم ينفعه عِلمُه»(١).

١٣٧ ـ أخبرنا أبو بكر، ثنا الفريابي، ثنا قتيبة بن سعيد، ثنا الليث بن سعد، عن سعيد بن أبي سعيد، عن أخيه عبَّاد بن أبي سعيد، سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الأربع: من علم لا ينفع، ومن قلبٍ لا يَخشع، ومن نفسٍ لا تَشبع، ومن دُعاءٍ لا يُسْمع»(٢).

١٣٨ ـ أخبرنا أبو بكر، ثنا أبو بكر بن أبي داود، ثنا أحمد بن صالح المِصري، ثنا عبد الله بن وهب، أخبرني أسامة بن زيد، أن محمد بن المنكدر، حدَّثه أنه سمع جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللّهم إني أسألُك عِلمًا نافعًا، وأعوذ بك مِن علمٍ لا ينفع».

قال جابر رضي الله عنه: فأسرعتُ إلى أهلي، فقلت لهم: إني سمعت

---

= يا رب، وأيُّ شيء لك عليَّ؟ قال: هل واليتَ فيَّ وليًّا، أو عاديت فيَّ عدوًّا؟. اهـ.

(١) تقدم تخريجه برقم (٩٠).
نقل هذا الكلام ابن رجب رحمه الله في كتابه «ما ذئبان جائعان»، ثم قال: هذا كله كلام الإمام أبي بكر الآجري رحمه الله وكان في أواخر الثلاثمائة، ولم يزل الفساد متزايدًا على ما ذكرناه أضعافًا مضاعفة، فلا حول ولا قوة إلَّا بالله. اهـ.

(٢) رواه أحمد (٨٤٨٨)، وأبو داود (١٥٤٨)، وابن ماجه (٢٥٠و٣٨٣٧).
واختلف في إسناد هذا الحديث كما بينه الدارقطني في «العلل» (٢٠٧٩).
ويشهد له ما رواه مسلم (٢٧٢٢) عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: لا أقول لكم إلَّا كما كان رسول الله ﷺ يقول: كان يقول: «..اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلبٍ لا يخشع، ومن نفسٍ لا تشبع، ومن دعوةٍ لا يُستجابُ لها». =

رسول الله ﷺ يدعو بهؤلاءِ الكلمات، فادعوا بهنَّ[(١)].

## آخر كتاب أخلاق العلماء
## والحمد لله وحده،
## وصلّى الله على سيدنا محمد النبي وآله وصحبه أجمعين.

(١) رواه النسائي في «الكبرى» (٧٨١٨)، وابن ماجه (٣٨٤٣).
ـ وفي «مسند الدارمي» (٥٥٨) عن الحسن، قال: أدركت الناس، والنَّاسكُ إذا نَسَكَ، لم يُعرف من قبل منطقه؛ ولكن يُعرف من قبل عَمَلِه، فذلك العلم النافع.
ـ وفيه أيضًا (٣٧٦) عن الحسن قال: العلم علمان: فعلمٌ في القلب؛ فذلك العلم النافع، وعلمٌ على اللسان؛ فذلك حُجَّة الله على ابن آدم.
ـ وفي «جامع بيان العلم» (١٠٨٦) قال سفيان بن عيينة: ليس شيء أنفع من علم ينفع، وليس شيء أضرّ من علم لا ينفع.
ـ قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ في «فضل علم السلف على علم الخلف» (ص٧٦): فالعلم النافع من هذه العلوم كلها: ضبطُ نصوص الكتاب والسُّنة، وفهم معانيها، والتقيدُ في ذلك بالمأثور عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وتابعيهم في معاني القرآن والحديث، وفيما ورد عنهم من الكلام في مسائل الحلال والحرام، والزهد، والرقائق، والمعارف، وغير ذلك والاجتهاد على تمييز صحيحه من سقيمه أولًا، ثم الاجتهاد على الوقوف في معانيه وتفهُّمه ثانيًا، وفي ذلك كِفاية لمن عقل، وشُغلٌ لمن بالعلم النافع عُنيَ واشتغل.
ومن وقف على هذا وأخلص القصد فيه لوجه الله عز وجل، واستعان عليه؛ أعانه وهداه ووفَّقه وسدَّده وفهمه وألهمه، وحينئذ يُثمر له هذا العلم ثمرتَه الخاصَّة به، وهي: خشية الله كما قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].
قال ابن مسعود رضي الله عنه وغيره: كفى بخشية الله عِلمًا، وكفى بالاغترار بالله جهلًا.
وقال بعض السلف: ليس العلم بكثرة الرواية؛ ولكنَّ العلمَ الخشية.
وقال بعضهم: من خشي اللهَ فهو عالم، ومن عصاه فهو جاهل.
وكلامهم في هذا المعنى كثير جدًّا.
=

= وسبب ذلك: أن هذا العلم النافع يدل على أمرين:

**أحدهما**: على معرفة الله وما يستحقُّه من الأسماء الحُسنى والصفات العُلى، والأفعال الباهرة. وذلك يستلزم: إجلالَه وإعظامَه، وخشيتَه ومهابتَه، ومحبته ورجاءه، والتوكُّل عليه، والرضى بقضائه، والصبر على بلائه.

**والأمر الثاني**: المعرفةُ بما يُحبُّه ويرضاه، وما يكرهه ويسخطُه من الاعتقادات والأعمال الظاهرة والباطنة والأقوال؛ فيوجب ذلك لمن علمه: المسارعة إلى ما فيه محبَّة الله ورضاه، والتباعُدُ عما يكرهه ويسخطه.

فإذا أثمر العلمُ لصاحبه هذا فهو عِلمٌ نافع.

فمتى كان العلم نافعًا ووقر في القلب فقد خشع القلب لله وانكسرَ له، وذلَّ هيبةً وإجلالًا وخشيةً ومحبةً وتعظيمًا.

ومتى خشع القلب لله وذلَّ وانكسرَ له؛ قنعتِ النفس بيسير الحلالِ من الدنيا، وشبِعت به، فأوجبَ لها ذلك: القناعة والزهد في الدنيا، وكل ما هو فانٍ لا يبقى من المال والجاه وفضول العيش الذي ينقصُ به حظُّ صاحبه عند الله من نعيم الآخرة وإن كان كريمًا على الله، كما قال ذلك ابن عمر رضي الله عنهما وغيره من السلف، وروي مرفوعًا.

وأوجب ذلك: أن يكون بين العبد وبين ربه عز وجل معرفة خاصة، فإن سأله أعطاه، وإن دعاه أجابَه، كما قال في الحديث الإلهي: «**ولا يزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافل حتى أُحِبَّه**»، إلى قوله: «**فلئن سألني لأُعطينه، ولئِن استعاذني لأُعِيذَنَّه**». وفي رواية: «**ولئن دعاني لأجيبنه**».

وفي وصيته صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرَّف إلى الله في الرَّخاء يعرِفك في الشِّدَّة**»... فأصل العلم بالله الذي يُوجب خشيته، ومحبته، والقرب منه، والأنس به، والشوق إليه، ثم يتلوه العلم بأحكام الله، وما يحبه ويرضاه من العبد من قولٍ أو عملٍ أو حالٍ أو اعتقاد؛ فمن تحقَّق بهذين العِلمين: كان عِلمُه علمًا نافعًا، وحصل له العلم النافع، والقلب الخاشع، والنفسُ القانِعة، والدعاء المسموع.

ومن فاته هذا العلم النافعُ وقع في الأربع التي استعاذ منها النبي صلى الله عليه وسلم، وصار عِلمه وبالًا وحُجَّة عليه، فلم ينتفِع به؛ لأنه لم يخشع قلبه لربه، ولم تشبع نفسُه من الدنيا، بل ازداد عليها حِرصًا ولها طلبًا، ولم يُسمع دُعاؤه لعدم =

= امتثاله لأوامر ربه، وعدم اجتنابه لما يُسخطه ويكرهه.

هذا إن كان عِلمُه عِلمًا يمكن الانتفاع به؛ وهو المتلقَّى عن الكتاب والسُّنة.

فإن كان مُتلقًّى من غير ذلك فهو غير نافعٍ في نفسه، ولا يمكن الانتفاع به، بل ضرُّه أكثرُ من نفعه.

وعلامة هذا العلم الذي لا ينفعُ: أن يُكسِب صاحبُه الزهو، والفخرَ، والخُيلاء، وطلب العلوِّ والرفعةِ في الدنيا، والمنافسة فيها، وطلب مُباهاةِ العلماء، ومماراةِ السُّفهاءِ، وصرف وجوه الناس إليه. وقد ورد عن النبي ﷺ إن من طلب العلم لذلك فالنار النار.

ورُبما ادَّعى بعضُ أصحاب هذه العلوم معرفة الله، وطلبه، والإعراض عما سواه، وليس غرضُهم بذلك إلَّا طلب التقدُّم في قلوب الناس من الملوك وغيرهم، وإحسان ظنهم بهم، وكثرة اتباعهم، والتعظم بذلك على الناس.اهـ.

- وقال كما في «مجموع الرسائل» (١/١٦): وفي صحيح مسلم، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إن أقوامًا يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم؛ ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع.

فالعلم النافع: هو ما باشر القلب، فأوقر فيه معرفة الله تعالى وعظمته، وخشيته وإجلاله، وتعظيمه ومحبته، ومتى سكنت هذه الأشياء في القلب خشع فخشعت الجوارح كلها تبعًا لخشوعه.

وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «**إني أعوذ بك من علمٍ لا ينفع، ومن قلبٍ لا يخشع**». وهذا يدل على أن العلم الذي لا يوجبُ الخشوع للقلب فهو علم غير نافع.

وروي عنه ﷺ أنه كان يسأل الله علمًا نافعًا.

وفي حديث آخر قال: «**سلوا الله علمًا نافعًا، وتعوَّذوا بالله من علمٍ لا ينفع**».

وأما العلم الذي على اللسان فهو حُجَّة الله على ابن آدم، كما قال النبي ﷺ: «**والقرآن حُجَّة لك أو عليك**».

فإذا ذهب من الناس العلم الباطن بقي الظاهر على الألسنة حُجَّة، ثم يذهب هذا العلم الذي هو حُجَّة بذهاب حملته، ولا يبقى من الدين إلَّا اسمه، =

= فيبقى القرآن في المصاحف، ثم يُسرى به في آخر الزمان، فلا يبقى منه في المصاحف ولا في القلوب شيء.

ومن هنا قسم من قسَّم من العلماء العلم إلى باطن وظاهر، فالباطن: ما باشر القلوب، فأثمر لها الخشية والخشوع، والتعظيم والإجلال، والمحبة والأنس والشوق.

والظاهر: ما كان على اللسان، فبه تقوم حُجَّة الله على عباده.

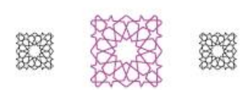
وكتب وهب بن مُنبِّه إلى مكحول: إنك امرؤ قد أصبت بما ظهر لك من علم الإسلام شرفًا، فاطلب بما بطن من علم الإسلام محبة وزلفى.

وفي رواية أُخرى أنه كتب إليه: إنك قد بلغت بظاهر علمك عند الناس منزلة وشرفًا، فاطلب بباطن علمك عند الله منزلة وزُلفى، واعلم أن إحدى المنزلتين تمنع الأخرى.

فأشار وهبٌ بعلم الظاهر إلى علم الفتاوى والأحكام، والحلال والحرام، والقصص والوعظ وهو ما يظهر على اللسان.

وهذا العلم يوجب لصاحبه محبة الناس له، وتقدمه عندهم، فحذَّره من الوقوف عند ذلك، والركون إليه، والالتفات إلى تعظيم الناس ومحبتهم؛ فإن من وقف مع ذلك فقد انقطع عن الله وانحجب بنظره إلى الخلق عن الحق.

وأشار بعلم الباطن إلى العلم الذي يباشر القلوب، فيحدث لها الخشية والإجلال والتعظيم، وأمره أن يطلب بهذا المحبة من الله والقرب منه والزلفى لديه. اهـ.



# ٤ ـ فهرس الفوائد

| الفائدة | رقم الأثر |
| --- | --- |

# ٥ ـ فهرس الكتاب